قال جل وعلا بعدها يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين أمنوا انظرونا نقتبس من نوركم المراد بالمنافقين والمنافقات هنا هم أهل النفاق والاعتقاد , أما أهل النفاق العملي فإنهم يدخلون في اسم الإسلام الذي دلت عليه الآية قبلها ويدخلون في الموازنة أو في العقوبة أو في عفو الله جل وعلا عنهم بحسب ما عندهم من الحسنات وعظم خصال النفاق التي اكتسبوها فقوله جل وعلا يوم يقول المنافقون والمنافقات المراد بهم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم   يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين أمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وانظروا هنا بمعنى الانتظار انظرونا يعني انتظرونا وكلمة انظروا جاءت في القرآن بمعنى النظر الذي هو الاعتبار , وبمعنى النظر الذي هو الرؤية , وبمعنى النظر الذي هو الانتظار الأول النظر بمعنى الاعتبار , الاعتبار تأمل تدبر , ونظر بمعنى الرؤية , ونظر بمعنى الانتظار , والفرق بينها من جهة الاستعمال باختلاف ما تعدى به , فإذا تعدت تعدى النظر بإلى فإنه يكون بمعنى الرؤية , ناظرة وجوه يوم إذاً ناضرة إلى ربها ناظرة ناظرة إلى ربها يعني منتظرة يعني رائية وجه ربها الكريم , ومن فسرها بمنتظرة نِعمَ ربها من السلف هذا غلط في التفسير وإن كان من بعض أقوال التابعين وجعلوا انظرونا وجعل إلى ربها ناظرة , يعني ناظرةٌ نِعم ربها عنده وهو مجاهد رحمه الله إلى جمع هو جمعٌ كآلات يعني النعم , وهذا خلاف تفسير النبي عليه الصلاة والسلام وتفاسير الصحابة

بأجمع وكذلك تفاسير أكثر أو جمهور التابعين .
المقصود أن قوله هنا انظرونا تعدت بنفسها انظرونا فيكون بمعنى الانتظار نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً   نقتبس يعني نأخذ قبساً وهو البصيص من نور قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يأتي تكملة تفسير هذه الآية إن شاء الله تعالى .
س : أحسن الله إليك ذلك هو الفوز العظيم المحلى بألف ولام بعد اسم الإشارة ما يكون بدل ؟
ج : بدل في مواضع لكن في مثل هذا ذلك الفوز , يصير مبتدأ وخبر لكن صحيح في بعض المواضع يكون المعرفة بعد اسم الإشارة بدل أو عطف بيان ممكن لكن في غير هذا السياق , أما هذا فهذا مبتدأ وخبر ذلك الفوز   ذلك هو الفوز هذا مبتدأ وخبر هي تتضح لك في الفرق بينهما , لو قلت مثلاً , هذا الرجل القاضي , هذا الرجل القاضي , أو هذا الإمامُ , هذا الإمام يشتبه هل تمت الجملة ولا ما تمت , لكن إذا أتيت بضمير الفصل ذهب الاشتباه فتقول هذا هو الإمام , هذا الرجلُ هو القاضي هنا تقول الرجل أيش عطف بيان أو بدل ظاهر , لكن القاضي خبر أو المصاحبة , إذا فسرتها على إذا فسرت بأيمانهم يعني الكتب فمثل الآية الأخرى فتكون الباء هنا للإلصاق , وأما إذا فسرتها بأنها النور يسعى بين أيديهم ويسعى أيضاً بجهة اليمين فتكون هنا للمصاحبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم

علمنا ما ينفعنا , وأنفعنا بما علمتنا وأغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا إنك أنت الغفور الودود . أما بعد ....

يقول الله جل وعلا يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين أمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قوله   فضرب بينهم بسورٍ له باب هذا إخبار من الحق جل وعلا عن أمرٍ يكون يوم القيامة بالأرض المبدلة التي هي غير الأرض يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات يوم يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام يجرها الملائكة وينصب الصراط على متن جهنم فيتميز الناس وتوضع الظلمة دون الجسر هذا خبرٌ ليس عن أرضنا هذه ولا عما فيها , ولهذا ما ذكر من التفاسير في أن المراد صور بيت المقدس أن الوادي هو الوادي المعروف الذي يمر ببيت المقدس المسمى اليوم ومن قديم بوادي جهنم هناك , هذا ليس له علاقة بما ذكره الله جل وعلا هنا لأن الكلام على الأرض المبدلة ولا يبقى الوصف ولا الأسماء أيضاً هم سموه وادي جهنم لأجل ما روي في ذلك من إسرائيليات ومن جراء ذلك كان أهل تلك المدينة يهابون أن يمضوا , يعني في القديم أن يمضوا إلى أخر ذلك الوادي المسمى بوادي جهنم لأنهم يظنون أن آخره يفيض على جهنم وهذا من الجهالات ومن أثر الإسرائيليات السيئة في الناس , والذي ينبغي دائماً أن يجعل التفسير في عمومه بما دلت عليه الآية وتفهم الآيات على ما يقتضي معناها من

نصوص الكتاب والسنة وأما كلام السلف فيما يخالف الأدلة أو ما يكون متأثراً بأخبار بني إسرائيل إذا كان في أمور الغيب كأمثال هذا أو تحيله العقول فإنه لا ينبغي قبوله لهذا قوله هنا فضرب بينهم بسورٍ له باب يعني بين المؤمنين والمنافقين وهذا السور سورٌ يكون يوم القيامة هو سورٌ حقيقي له باب حقيقي كما وصف الله جل وعلا قال باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ما هو الباطن وما هو الظاهر في ذلك الحال , اختلف أهل العلم والتفسير في معنى هذا والأقرب فيه أن يكون الباطن كما ذكر ابن كثير هنا أن الباطن هو ما وراءه من الجنة والنعيم وإن لم يكن السور هذا محيط بالجنة وظاهره من قبله العذاب يعني أن من لم يكن في داخل هذا السور كان من أهل العذاب لأنه سيهوي في جهنم والعياذ بالله , فالباطن الجنة والظاهر النار ولكن هذا من جهة أن المراد بالباطن يعني أن من كان في باطن هذا السور ودخل وكان مع المؤمنين فإن مآله إلى الجنة لا أن هذا السور محيط بالجنة وإنما هو سورٌ يضعه الله جل وعلا ليميز المؤمن من المنافق ولتكن الفتنة كبرى لهم والخدعة الكبرى لأهل النفاق , ينادونهم ألم نكن معكم يعني بعدها فصل بينهم بهذا السور , وحقت الظلمة ولم يروا طريقهم وعلموا أنهم ليسوا مع المؤمنين وأن المؤمنين ميزوا عنهم , هذا دليلُ على أنهم سيحيق بهم أمر الله نادوا المؤمنين ألم نكن معكم يعني ألم نكن مصاحبين لكم في أموركم معكم في المساجد معكم في الغزوات معكم في أمورنا التي

كنا نشترك فيها فيجيبهم أهل الإيمان بلى وقوله هنا ألم نكن معكم المقصود بها معية المقارنة والصحبة التي هي في نحو قوله   يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يعني كنا معكم في الصفات كنا معكم في الإيمان كنا معكم الصلاة كنا معكم في أعمال البر باعتبار الظاهر كان الجميع واحد لكن باعتبار الباطن واعتبار القلوب هم مختلفون اختلاف شديدا فأهل النفاق كفرة وأهل الإيمان بررة وهؤلاء لا يكونون مع هؤلاء في الحقيقة قالوا بلى يعني كنتم مقارنين لنا ومصاحبين ولكنكم فتنتم أنفسكم , فتنتم أنفسكم بعدم الإيمان وفتنتم أنفسكم بأن أضمرتم النفاق أنتم الذين عرضتم أنفسكم لهذا الفتنة العظيمة إذ لم تؤمنُ حق الإيمان وتربصتم , والتربص هنا اختلف فيه المفسرون على عدة أقوال منها أن يكون التربص باعتبار ظاهر الكلام , يعني تربصتم بالمؤمنين تربصتم بنا تربصتم بالحق وأهله وكنتم مع أهل الكفر تريدون غلبته , وهذا التفسير جاء في عدد من الآيات أن أهل النفاق مع أهل الكفر في المودة وفي النصرة وهم يتربصون بالمؤمنين إن كان لهم فتح قالوا نحن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا (ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة), فهذا نوع من التربص والتربص في أصل معناه هو ابتغاء الزمن الذي يحقق فيه المرء مراده يعني ينتظر الشيء الذي يحقق فيه مراده الذي يخفيه أو الذي في نفسه , وليست دائماً مذمومة , يتربص المرء فيما هو مذموم , وفيما هو غير مذموم يعني في اللغة

ومن أهل العلم من قال التربص هنا هو ابتغاء الزمن الذي تكون فيه التوبة , ويكون فيه نهاية الأمر في الصراع ما بين أهل الإيمان وأهل النفاق فهم يؤجلون التوبة من زمن إلى زمن ولا يزالوا في قلوبهم زيغ ومرض وريب فلا ينصرون أهل الإيمان وإنما هم معهم ظاهراً ومع الكفار باطناً فيكون معنى التربص هنا تأخير التوبة وابتغاء وقت مؤجل للتوبة والإيمان لا لعزمهم على التوبة ولكن لينظروا إلى عاقبة الأمر هل عاقبة الأمر ستكون للمؤمنين أو عاقبة الأمر تكون للكافرين وهذا حقيقة تربص في حقهم أنهم يطلبون وقتاً حتى ينظر في أمره إن كان أهل الإيمان غلبوا فيدعون أنهم معهم , وإن كان أهل الكفر غلبوا فإنهم يقولون إن معكم ومنعناكم من المؤمنين , وثم أقوال أخرى لكنها تدور حول معنى تأخير شيء وإبطانه , ويمكن فهمها في الآيات التي وردت في معناها وارتبتم وريب المنافقين متعدد وابن كثير فيما سمعت فسر الريب بالريب بالبعث بعد الموت وهذه صورة مناسبة للمقام الذي فيه ذكر الريب هنا ولكن حقيقةً هم مرتابون في الله جل وعلا ومرتابون بالنبي وهم في ريب من القرآن وهم في ريب من انتصار أهل الإيمان وهم في ريب في كل أمورٍ , لهذا ذكر ريب المنافقين في عددٍ من الآيات متعلقاً بعدد من الصور ليس فقط ريب بالبعث فهم مرتابون في كل أمورهم فلا يخص البعث بعد الموت فقط ولكن البعث بعد الموت من مما اغتابوا فيه لأنه لو آمن حقاً بأنه سيكون بعث بعد الموت لصدق ولوحد ولجاهد بالحق قال جل وعلا

وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور قوله وغرتكم الأماني الأماني هي جمع أمنية ويقال أيضاً أمنية وهي ما يتمناه الإنسان و وفرق بين الأماني وما بين الرجاء فالأمنية في الغالب لا يكون معها سبب يعمله الإنسان بخلاف الرجاء المحمود فإنه يرجوا ويبذل الأسباب فيه , هذا من الفروق ما بين الأمنية وما بين الرجاء , أما الأمنية بالتشديد فتطلق على الأمنية أيضاً يعني ما يتمناه المرء , وتطلق الأمنية أيضاً على التلاوة كما في قوله إلا ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان يعني في تلاوته وعلى العموم فيه توارد بين التسهيل يعني بين التشديد والتخفيف أمنيه وأمنيه في معانيها هنا في قوله وغرتكم الأماني يعني ما تتمنون من أن تكون العاقبة لكم أو أنكم ستظفرون أو أنكم ستتوبون إذا تبين الأمر أو أنكم لكن في الحقيقة هذه الأماني إنما هي غرور , وحقيقة الغرور هو ما يغتروا به الإنسان مما يظهر له فيه شيء وفي الحقيقة هو ليس كذلك قال بعدها جل وعلا حتى جاء أمر الله يعني بالموت وغركم بالله الغرور والغرور هنا هو الشيطان لأنه هو مصدر الغرور , وهو الذي يغر الإنسان فيما فيه وما يذره من أعمال أعاذنا الله وإياكم من ذلك هذا كله يعني في الآية هذه كلها قبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار , أما إذا دخل أهل الجنة الجنة , وأهل النار النار فثم آيات أخرى تبين كلام أهل الإيمان مع أهل النفاق وما يكون من الحوار بينهم أو من تراد بين أهل الكفر أو أهل الإيمان وأهل النار وأهل الجنة مثل ما ساق

ابن كثير في آخر الآيات في قول الله جل وعلا في سورة المدثر كل نفسٍ بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جناتٍ يتسألون عن المجرمين هذا بعد أن يدخلوا الجنة وهذا حوار أخر وحديث أخر ليس هو كالذي في هذه السورة , هذا قبل إذا وضعت الظلمة وجاء السور وظهر فضل أهل الإيمان وخسارة أهل النفاق قال جل وعلا في آخر الآية مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير والمأوى في حقيقته هو مكان يأوي إليه المكان الذي يؤوى إليه أو يأوي إليه الإنسان أو المخلوق فمأوى الحيوان مثلاً هو بيته ومأوى الإنسان هو مسكنه وقيل الجنة هي مأوى , والنار هي مأوى باعتبار الحياة , وأن الحياة هي دار الانتقال ودار الحركة فيأوي إلى الجنة , أما من دخل الجنة فإنه لا يخرج منها فلا يخرج ثم يعود ليأوي فيها , كذلك من دخل النار من الكفار فإنه لا يخرج منها فهي تكون مأوى له يعني بعد انتقاله , لكن المقصود هي مأوى بعد النقلة التي كانت في الدنيا وما صار من الحركة والنشاط والانتقال والحياة ثم يأوي إلى الجنة أهل الإيمان , ويأوي إلى النار أهل الكفر , لهذا قال جل وعلا هنا مأواكم النار هي مولاكم والمولى هو المحب والنصير والموالي يعني هو ذو الولاء لكم , يعني إذا أردتم من يحبكم , وإذا أردتم من ينصركم فهي النار هي دار الهوان , وهي مولاكم بكل معاني المحبة والنصرة لأن النار مطيعة لله جل وعلا وهي دار العذاب والهوان التي أعدها الله جل وعلا لأعدائه , لهذا هي تتغيظ النار لها شعور ولها إحساس جهنم لها شعور ولها

إحساس محبة لربها جل وعلا مطيعة لأمره , خلقها الله جل وعلا على هذا النحو ليعذب بها أعدائه , ويعذب بها أهل الكفر والنفاق , وليطهر بها أهل الإيمان فهي من جملة مخلوقات الله المسبحة المطيعة لهذا تتغيظ على الكفر تتغيظ على الكافرين , وفي ذلك عدد من الآيات كقوله جل وعلا تكادُ تميز من الغيظ كلما أُلقي فيها فوجٌ سألهم خزنتها فقوله تكادٌ تميز من الغيظ تميز يعني تفرق , ويظهر يعني إنصداع النار وتشعبها من الغيظ الذي فيها على أهل الكفر وعبادة غير الله جل وعلا وبئس المصير يعني بئس المكان الذي يصار إليه النار , يعني بئس المصير هي أعاذنا الله وإياكم من عذاب النار .

قال جل وعلا ألم يأنِ للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نَزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون هذه الآية أو هاتان الآيتان من الآيات العظيمة في معاتبة أهل الإيمان على قسوة قلوبهم وعدم لينها وقد نزل عليها ما يلين الجبال الصم وما يلين الحديد وهو القرآن العظيم وهو الذكر الذي من أقبل عليه فإنه أعظم سبب لعدم قسوة القلب وللينه ولتذكر حق الله جل وعلا وتذكر الآخرة ، فالذكر هنا هو القرآن وقوله جل وعلا ألم يأن يعني ألم يحن ألم يأت وقت خشوع قلوب الذين آمنوا لذكر الله أو لم يأت أوان الخشوع بعد أن نزل القرآن وهذا فيه حث وفيه مخاطبة لهم

المخاطبة الشديدة لأنهم لا تخشع قلوبهم لذكر الله مع أن القرآن بين أيديهم وقد أنزل عليهم وقوله جل وعلا أن تخشع الخشوع هنا جعله خشوع القلب ، أن تخشع قلوبهم لأن خشوع القلب هو الأساس في كل أنواع الخشوع ، وأصل الخشوع هو التطامن والذل وعدم الحركة ، كما قال جل وعلا في سورة فصلت ومن آيته أنك ترى الأرض خاشعة يعني لا حركة فيها ذليلة خاضعة مستكينة لا تتحرك فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يعني بما يشقها الماء كذلك بما يشقها النبات وربت   إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير والخشوع المذكور في هذه الآية ، خشوع القلب يكون بسكينته وخضوعه وعدم التفاته عن ربه جل وعلا ، وكذلك خشوع الجوارح في وقت العبادة يعني في الصلاة ونحوها يكون بتطامن الجوارح وعدم حركتها لكن قال جل وعلا بعدها لذكر الله أن تخشع قلوبهم لذكر الله واللام هنا يمكن أن تكون للتعليل يعني أن تخشع قلوبهم لأجل نزول الذكر ومخاطبة القلوب بذكر الله جل وعلا الذي هو القرآن أو لعموم ذكر الله جل وعلا الذي يذكر به المرء ربه ، والثاني أن يكون خشوع القلوب للذكر يعني اللام هنا تكون بمعنى إلى يعني على طريقة البصريين تكون بمعنى إلى يعني تخشع القلوب إلى الذكر فتقبل على الذكر وتستعمل الذكر والأول أولى لأنه هو معنى الآية ، يعني ظاهر الآية يعني ألم يأن للذين آمنوا أن تكون قلوبهم خاشعة ذليلة مستكينة لا تلفت عن الله جل وعلا من أجل ذكره سبحانه وتعالى الذي علموه من القرآن وأنواع

الذكر وما نزل من الله جل وعلا من الحق الذي يشمل كل أنواع العقائد والشريعة والأحكام وهذا هو الواجب ، الحقيقة أن إيمان المؤمن وما نزل عليه من القرآن وما أمر به من لهج لسانه بذكر الله الذكر الواجب في الصلاة ونحوها أو الذكر المستحب هذا أعظم أسباب خشوع القلوب وعدم قسوة القلوب ، فإذا كان بين أيدينا الذكر وهو متاح ونذكر الله جل وعلا الذكر الواجب والقرآن بين أيدينا وما نزل من الحق ومع ذلك القلوب لا تخشع ، فهذا دليل بوار ودليل خسران , لهذا صار هذا الكتاب العظيم واستبطاء الله جل وعلا عباده أنهم لم تلن قلوبهم ولم تخشع لذكر الله وما نزل من الحق وقوله هنا وما نزل من الحق هذا عطف على الذكر وعطفه على الذكر له عدة توجيهات الأول : أن يكون من باب عطف الخاص على العام فذكر الله يشمل القرآن لأن القرآن ذكر إن نحن نزلنا الذكر وإن له لحافظون وكل ما يذكر بالله جل وعلا هو ذكرٌ لله جل وعلا من أنواع الأعمال القولية والعملية والاعتقادات القلبية فيكون وما نزل من الحق يعني من كتاب الله جل وعلا , هذا من باب التنصيص على خصوص القرآن .

والوجه الثاني : أن يكون قوله وما نزل من الحق أن يكون المراد به التشريعات والعقائد التفصيلية , وأن يكون قوله لذكر الله يعني القرآن ما نزل من الحق يعني الحق في أمور الغيب , والحق في العقيدة , الحق في التشريع الحق في الأحكام هذه كلها من تأملها حقيقة فإنها مدعاةٌ وسببٌ ووسيلة عظيمة من وسائل خشوع القلب وعدم قسوة

القلوب , ولا شك أن نزول الذكر والتشريعات والأحكام والعقائد التي بين أيدينا من تأملها متخلصاً من هواء موقناً بلقاء ربه فإنها ستحدث لقلبه خشوعاً وستطرد قسوة القلوب التي إذا قست فهي أشد ما تكون في الغلظة والجفا والبعد عن اللين والإقبال على الخير , ثم قال جل وعلا ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل وقبلها في خشوع القلب يتكلم أهل السلوك كثيراً في معنى خشوع القلب وعدم حركة القلب وافتراضه , وهذا له تفصيلات كثيرة ذكرها أهل السلوك سواء من المتابعين لطريقة السلف أم من غيرهم , ويمكن أن تطلب تفاصيله في مثل كتاب مدارك السالكين لابن القيم لأن من المدارك ومن صفات أهل الإيمان الخاصة الخشوع , وأعظم الخشوع خشوع القلب , وهو عدم اضطرابه وحركته والتفاته عن ربه جل وعلا إلى ما سواه , قد يلتفت عن الله إلى ما سواه من الدنيا بأنواع الدنيا فإذا ألتفت فإنه سيضطرب وإذا اضطرب فإنه لن يخشع وسيأتيه قسوة القلوب من أوسع الأبواب وعدم الالتفات عن الله جل وعلا يعني كتعبير للسلف فيه استعمال وللخلف وأهل البدع سلوك لهم فيه استعمال وأما الاستعمال الصحيح المحمود له أن لا يلتفت عن الله جل وعلا في الإخلاص والتوجه له , أن لا يلتفت عن الله جل وعلا في متابعة أمره واجتناب نهيه وأن لا يلتفت عن الله جل وعلا في الرغب والتوجه والرجاء والأمل والتوكل وأعمال القلوب , أعمال القلوب هي التي يكون فيها عدم الالتفات أعمال القلوب متنوعة محبة الرجاء التوكل الإنابة الرغب

الرهب وأشباه ذلك فهذه أكبر ما يكون تعرض القلب فيها إلى أن تلتفت عن الله جل وعلا إلى غيره فيها فإذا حصل للقلب عدم التفات عن الله جل وعلا بأعمال القلوب وأقوال القلب إلى غير فإنه يعظم خشوعه وتعظم طمأنينته , وإذا حصل التفات فإنه يضطرب بقدر ما حصل من الالتفات , أما تفسير أهل السلوك الذين سلكوا مصطلحات ومحدثات في الأقوال والأعمال والأحوال فإنهم يفسرون عدم التفات القلب أو يفسرون التفات القلب أحسن يفسرون التفات القلب بترك الخلوة , وتخليص القلب من الشوائب وتفتيش القلب والجمعية كما يقولون بالله جل وعلا , وهذه عندهم تكوم بالتدريب والرياضة حتى يكون القلب , يعني على حد رياضتهم وتربيتهم حتى يكون القلب متصلاً بالله جل وعلا ثم يؤول الأمر أن يفاض عليه إما بالإلهام أو بالوحي أو بأنواع من ذلك على حسب بعد المفسر لها وقربه من الحق قال جل وعلا بعد ذلك ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم هذه الجملة من هذه الآية العظيمة نصٌ في تحريم التشبه بأهل الكفر وبأهل الكتاب وذكر الله جل وعلا هنا أن أهل الكتاب نزل عليهم الحق وجاءهم الذكر لكن تركوه قال جل وعلا ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم   أوتوا الكتاب يعني أعطوه فيه البينات والهدى فيه النور فيه الهداية فيع أسباب خشوع القلب فيه أسباب الإقبال على الله جل وعلا لكنهم ملوه وتركوه ولم يجعلوه كافياً في تحصيل العلوم وتحقيق الآمال

قال فطال عليهم الأمد يعني مرت عليهم السنون ومئات السنين فتركوا كتابهم وتركوا ما أنزل الله جل وعلا إلى ما استحدثوه من أنواع المحدثات القولية والعملية والاعتقادية قال فطال عليهم الأمد والنتيجة فقست قلوبهم فجعل قسوة القلوب نتيجة لترك الكتاب ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد طال عليهم الأمد فتركوا الكتاب حرفوه بدلوه أحدثوا كما قال جل وعلا في آية سورة المائدة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية فبما نقضهم يعني فبنقضهم ميثاقهم الما هنا صلة للتأكيد فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية لماذا يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به , نسوا هنا بمعنى تركوا , يعني تركوا حظاً مما ذكروا به في أمر العقيدة والتوحيد , ونبوة موسى عليه السلام , ونبوة الأنبياء , ونسوا حظاً أي تركوا نصيباً مما ذكروا به في كتابهم في الأعمال وكانت النتيجة قسوة القلوب , وهذا من أعظم ما يبتلي الله جل وعلا به العبد , وهذا من أثار الذنوب ومن أثار المعاصي ومن أثار الإعراض عن ذكر الله جل وعلا الإعراض الواجب فإنها تقسوا القلوب , وأعظم ما يعاقب الله جل وعلا به العبد بذنبه ومعصيته أن يعاقبه بعقوبات قدرية قلبية , يعني أن يقسوا قلبه و ثم بعد القسوة ربما لا يرى الحق حقا ولا يرى الباطل باطلا , وقد يزداد بعد ذلك ويزيد الله في عقوبته , أو يزيد أثر المعصية على القلب بأنه يرى الحق باطلاً ويرى الباطل حقا , هذا أعظم الانتكاس وأعظم أثار الذنوب على

القلوب وهذا هو الواقع , الواقع في الحقيقة أن الذي يأنس للمعصية ويأنس للذنب وعدم تحقيق العبادة وتحقيق التوحيد وعدم اتباع السنة ويأنس للتساهل في ذلك والمخالفة ولا يهتم فإنه ولابد أن يقع له أن يقع لهذا الذنب أثر لابد أن يكون له أثر في نفسه ومن أعظم الآثار أن يكون قلبه قاسياً إما بالإعراض عن الحق , وإما بأن تسلك البدع إلى القلب وهي أعظم وسائل القسوة عن ذكر الله في القسوة الحقيقية , وإن كانت في الظاهر قد يكون المبتدع لين القلب من جهة لكنه في الحقيقة قسي قلبه عن الحق وعن ذكر الله . أهل العلم يستدلون بهذه الآية وهي قوله ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم يستدلون بها على تحريم التشبه بالكفار والتشبه بالكفار محرم بعدة نصوص مثل هذه الآية وكقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود وجماعة ومن تشبه بقومٍ فهو منهم وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي في الصحيح ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعا بذراع)) قالوا اليهود والنصارى قال عليه الصلاة والسلام فمن وفي رواية ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) وهذا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه , يعني هذا المكان الضيق اللي لا يمكن للإنسان أن يدخله لو دخله فارس والروم أو أهل الكتاب أو اليهود والنصارى يقول قائل منكم لا هذا فيه فائدة أو سيسعني وسيدخل كما دخلوا لهذا الأمر الذي تنكره الفطرة وينكره العاقل صحيح

العقل , فالآية هذه دليلٌ على تحريم التشبه بالكفار وبأهل الكتاب بخاصة , التشبه بهم على أنحاء أعظمه التشبه بهم في الكفر فيما يختصون به من عقائد ومن ضلالات ومن شرك وجحد للنبوات أو الحاد في آيات الله أو تحريف بالكلم عن مواضعه أو ترك تحكيم الكتاب المنزل ونحو ذلك هذا أعظم ما يكون من التشبه يعني التشبه بهم في ترك أصل الملة , وأصل الدين وتحريف الاعتقاد وقد يكون التشبه بهم في بعض العبادات مثل ما حصل في الأمة من أن تشبه بهم عدد ممن وسيموا بالصلاح وسيموا بالطاعة لكنهم تشبهوا باليهود والنصارى في الخلوات فجعلوا لهم صوامع وجعلوا لهم أماكن بعيدة عن الناس يتعبدون فيها بتعبد أهل الكتاب , يعني في أنواع التنسك كطريقة أولئك , وقد يكون التعبد بهم التشبه بهم في بعض مسائل الدين التي يختصون بها وهي كثيرة دخلت على هذه الأمة , يعني مما أذن لهم به هم لكنهم تشبه بهم طائفة في هذه الأمة إلى غير ذلك من أنواع التشبه في الأخلاق والعادات والألبسة وأشباه ذلك , وضابط التشبه المذموم أو المحرم هو أو قبل ذلك تعريف التشبه , التشبه هو قصدُ مشابهةِ الكفار فيما يختصون به , فالتشبه فيه ثلاثة ضوابط : القصد أولاً , وحصول المشابه ثانياً , والثالث : أن يكون ما اشترك فيه معهم فيما يختص به أهل الكتاب أو أهل الكفر سواء ما اختصوا به في عقائدهم ودينهم المأذون به أو المبدل والمحرف عندهم , أو ما اختصوا به من الألبسة وأنواع الهيئات ونحو ذلك , ويختلف عن التشبه المشابهة وهي جزء من

التعريف تعريف التشبه لقصد المشابه والمشابهة في حصولها , المشابه ليست محرمة مطلقاً المشابهة حصول التوافق في الصورة وقد تكون محرمة وقد لا تكون وإذا لم تكن المشابهة يعني في بعض الصور محرمة فإنها إذا كانت فيما يختصون به فإنه ينهى عنها لأنه يجتمع في حق من شابه الكافر ولم يتشبه به يجتمع في حقه أنه لا يأثم , يعني في بعض الصور لا في كل الصور لا يأثم وينهى عن ذلك ودليله ما رواه مسلم في الصحيح أن النبي رأى على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين يعني مصبوغين بالعصفر فقال له النبي إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها فدل على حصول المشابهة دون قصد التشبه ونهاه النبي عن ذلك , أما المشابهة المحرمة فهي ما كان محرماً أصله في الدين مثل المشابهة في العقائد والمشابهة في مسائل البدع ووسائل الشرك وأشباه ذلك والمشابهة غير المحرمة ما يكون في الهيئات مثل والألبسة وبعض الأحوال فهذه قد يشابه الرجل الرجل لكن لا يكون متشبهاً إلا إذا قصد يعني إذا شابههم فيما يختصون به أما إذا وقعت المشابهة فيما لا يختصون به أو وقعت المشابهة لمصلحة فإنه لا بأس بذلك ولا تؤثر المشابهة , لأن المحرم التشبه بالكفار لهذا النبي لما قدم المدينة كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه ففرق عليه الصلاة والسلام ناصيته ثم سدل بعد يعني مخالفةً لا لهم , ووقوع المشابهة في أصلها يعني في بعض الهيئات ونحو ذلك إذا كانت مما لا يختصون به فإنه إذا وقعت المشابهة

ينهى عنها , ولكن لا يأثم من فعلها دون قصدٍ التشبه بهم , ومثاله أيضاً في هذا المقام لبسُ بعض الألبسة التي لا يختصون بها مثل البدلة الآن وأشباه ذلك هذا لا يدخلُ في اختصاصهم فيما يختص فيهم لأنه صار شائعاً , وينقل عن شيخ الإسلام ابن تيميه في هذا أن باب الألبسة قد يكون خاصاً في وقت ويكون شائعاً في وقت يعني يوصف بالخصوصية في زمان ثم ينتشر فيكون شائعاً , ومعلوم أن هدى النبي في اللباس أنه لبس ما لبسته العرب ولم يقصد المخالفة فإذا كان اللباس شائعاً ولا يتميز من لبسه أنه كافر , يعني إذا رأى هذا اللباس لا يقول هذا كافر هذا لباس الكفار , وإنما يلبسه الناس مؤمنهم وكافرهم فهذا لا يدخل في هذا الأصل ثم تفصيلات معروفة يمكن أن تطلب في مضامنها , قال جل وعلا ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد الأمد هنا هو الزمن فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون قوله وكثير منهم فاسقون يعني أن الفسق في أهل الكتاب كثير والله جل وعلا في الآية الأخرى جعل أهل الكتاب قسمين : قال : منهم أمةٌ مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون , وفي الآية الأخرى منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ونحو ذلك من الآيات وهاهنا اختلف أهل العلم هل أهل الكتاب لهم التقسيمات الثلاث التي هي السابق بالخيرات والمقتصد والفاسق أو الظالم لنفسه أم أنهم قسمان : المقتصد , والفاسق على ظاهر قوله منهم أمةُ مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون , أو منهم المؤمنون

وأكثرهم الفاسقون فهل لا يوجد فيهم السابق بالخيرات من أهل العلم من قال لا يوجد فيهم السابق بالخيرات , والأظهر أنه يوجد فيهم السابق بالخيرات , وأن التحديد في قوله منهم أمةُ مقتصدة هذا ليس تحديداً وإنما هو تمثيل بمقتضى الحاجة في الآية أو المناسبة في الآية , الشنقيطي رحمه الله كان يذهب إلى أنهم قسمان , وعدد من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين لكن الأظهر أن أهل الكتاب منهم السابق بالخيرات ومنهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه كما هم في هذه الأمة .

 من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون إلى أخره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله وصـــــحبه ومن اهتـــــدى بهـــــداه أما بعد ....

فيقول الله   ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون هاتان الآيتان مترابطتان لأن الثانية هي تعليمٌ بما يصلح القلوب فلما ذكر الله جل وعلا أن القلوب تقسوا أن أهل الكتاب من قبلنا طال عليهم الأمد فغيروا في كتابهم وأحدثوا ما أحدثوا من البدع في أصل دينهم وفي فروعه فعاقبهم الله جل وعلا بقسوة القلوب حتى كانت

كالحجارة أو كانت أشدُ قسوةً من الحجارة وأن بعضهم لم يأمر بعضهم بالخير , بل كان كثير منهم فاسقين لم ينصحوا ولم يرشدوا ولم يعلموا ما تكون به حياة القلوب فطال الأمد فقست القلوب ذكر الله جل وعلا بعد ذلك أن هذا الذي أصاب أهل الكتاب يخشى أن يصيب هذه الأمة لأن قسوة القلب إنما تأتي عن أسباب , ثم ضرب مثلاً لذلك بالأرض الميتة التي لا حياة فيها وهي شبه القلب القاسي الذي لا يهتز عن إيمان ولا يثمر عن يقين وأعمال صالحة بل هو مجدب لا ينتج خير ولا يبقي أثراً وذكرى وهذا الخطاب في قوله اعلموا لأهل الإيمان الذين خاطبهم بقوله ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وأن العبد المؤمن إذا كان في قلبه بعض القسوة أو غشيته القسوة أو جاءه الإعراض فإن حياة القلب ليست بالعمل العسير فالله جل وعلا هو الذي يحي القلوب إذا بذل العبد الأسباب وضرب مثلاً هنا قال اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها ووجه الشبه ما بين الأرض الميتة والقلب القاسي أن القلب القاسي لا يستفيد منه أحد وليس فيه لين بل هو مجدب من الخير نفعه لصاحبه همه دنياه ليس فيه إحسان للخلق ولا فيه نظر في عواقب الأمور , والأرض الميتة لا يستفيد منها إلا صاحبها أو من سار فيها , يعني على راحلة ونحو ذلك ولا يستفيد منها الإنسان في نزول ولا البهائم في أكل , وليس فيها ماء تكون به الحياة , وهذا التمثيل , تمثيل الحياة بالماء وبالأرض الحية وتمثيل قسوة القلوب بالجدب جاء من غير هذه الآية كقوله جل

وعلا وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من نخيل وأعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون قال وفي الأرض قطعٌ متجاورات فهذه قطعةٌ مجدبة , وهذه قطعة مثمرة أو منتجة سهلة تنبت زرعاً وتحفظ ماءً , وهذه سبخة وهذه طينة جيدة وهكذا , وهذا مثال للقلوب التي نزل عليها وحي الإيمان فمنها ما أثمر وأنتج , ومنها ما كان أجادب ما ينفع ولا يستفاد منه فقوله هنا   اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها هذا دعوة , دعوة لكل صاحب قلب قاسي لم يأن لذكر الله وما نزل من كتابه أن يتدبر في نفسه , ويعلم أن القلب الذي يبس ولا ثمر فيه ولا يهتز عن إيمانٍ وحب لله جل وعلا ورسوله وحسن توكل على اللهٍ أنه يمكن أن يحي بذكر الله وبما نزل من الحق وهو القرآن , والقرآن مشبه بالماء في القرآن في آيات كثيرة , والأرض مشبهة , أو القلب مشبه بالأرض في آيات كثيرة , لهذا حياة القلوب هو كحياة الأرض , حياة الأرض بالماء بالمطر بالغيث , وحياة القلوب إنما هي بذكر الله وبالخشوع له بتدبر كتابه وبعبادته فقوله سبحانه هنا اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قسوة قلبه وحجة على كل من لم يسعى في سبيل لين قلبه وحسن إيمانه وذلة القلب وخضوعه لربه جل وعلا فها هو ينظر إلى الأرض كيف تحي فينزل الله عليها الماء فتخرج الكلاء والنبات الذي يغتذى منه والذي يسرُ الناظرين ويكون به الفائدة في القريب وفي المثال للناس ولدوابهم وما ينتج من ذلك من

خير كثير وقوله سبحانه اعلموا الأمر هنا فيه تأكيد لهذا الأصل العظيم وكون الأرض الميتة يحيها الله جل وعلا هذا أمر ظاهر معروف لكنه لفت الأنظار إليه وأكده من أنه لا مفر من ذلك لأن الله جل وعلا يحي القلوب القاسية بنور الإيمان , والذكر والقرآن فقال اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها وهذا فيه الدفع مع التعقيب فيه دفع للريب وللشك وهذا أصل في أن من أمر بعلم شيء كان معلومٍ عنده أنه يستفاد منه فائدتان الأولى : التأكيد . والثانية : دفع الشك والريب عن هذا الأصل وإحياء التذكر والتدبر له كقوله مثلاً واعلموا أن الله غفور رحيم   واعلموا أن الله شديد العقاب ونحو ذلك مما هو معلوم لدى المؤمن . قوله سبحانه واعلموا أن الله يحي الأرض الحياة تكون بحياة الظاهر وبحياة الباطن , وأكمل الحياة هي حياة الباطن وحياة الظاهر مؤقتة يأتيها ما يأتيها فيزيلها , وأما حياة الباطن وحياة القلب حياة الروح هذه هي الحياة الحقيقية ولذلك جعل الله جل وعلا المؤمن حياً والكافر ميتاً أو ميتاً فقال سبحانه لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . وقال جل وعلا أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحي والميت) فدل على أن حياة النفس وحياة القلب هو المقصود وهو الذي يصح أن تنسب له الحياة والأرض التي لا نبات فيها ولا ماء ولو كان فيها بعض حياة ولكنها أرض ميتة

لأن باطنها ليس فيه ماء ولأن ظاهرها لم يستفد من باطنها في إخراج مكنوناته ، وهذا يعني أن مفهوم الحياة والموت أنه مفهوم شرعي وليس مفهوماً اجتهادياً يعني باعتبار الظاهر وبحسب ما يظهر للناس وإنما هو مفهوم شرعي ، فالقرآن فيه كثير من الآيات كالتي ذكرنا كغيرها فيها تنبيه على أن الحياة هي حياة القلب وأن المؤمن الحق هو الحي وأن الصالح من عباد الله هو الحي ، وأن غير هؤلاء فيهم من الموت نصيب إما أن يكون موتاً كاملاً كحال الكافرين ، أو موتاً ناقصاً كحال المعرضين أو المقصرين أو الذين قست قلوبهم ، قوله قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون الآيات أولاً قوله قد بيَّنَّا قد هنا للتحقيق يعني يتحقق تبيين الآيات وقوله بينا هذا من البينة يعني قد ظهرت البينات وقامت البيانات والدلائل لكم والبينة هي ما يبين الحق ويظهره سواء أكان من الدليل المسموع أو كان من الدليل المرئي أو كان من الدليل المدرك بالقلب والتذكر والاعتبار وهذه هي أنواع البينة في القرآن بينات سماعية ، بينة تثبت عن طريق السمع ، الثاني : بينة تثبت عن طريق العين والرؤية ، والثالث بينة تثبت عن طريق التأمل والإدراك والتفكر وهكذا هي آيات الأنبياء كما سيأتي وبيانات الأنبياء هي عن أحد هذه الطرق إما المسموع وإما المرئي وإما المدرك بالقلب والعقل ، قوله قد بيَّنَّا لكم الآيات في بعض الآيات يأتي قد بينا الآيات هنا قال قد بينا لكم الآيات ونحوها في آيات مماثلة فما الفرق أو ما الفائدة في مجيء لكم في بعض الآيات وعدم مجيئها في آيات أخر

اللام هنا في قوله لكم هذه الأظهر أنها لام التعليل يعني من أجلكم يعني قد بينَّا الآيات من أجلكم قد بينَّا الآيات لعلة أنكم تدركون والآيات جمع آية والآية هي الدليل الواضح الذي يدل على مضمونه بلا ريب يعني البينة أضعف من الآية لكن الآية هي والبرهان أعظم لأن البرهان ما كان كبرهان الشمس وهو شعاعها الذي يكون أول ما تخرج فإنه ظاهر دالٌ على أن الشمس أشرقت ولذلك سميت الحجة القاطعة برهاناً لأجل أنها كالضي الساطع الذي لا يستطاع رده ، والآية هي الدليل كما ذكرت لك البيِّن الواضح الذي لا لبس فيه الذي يدل على مضمونه أو على مقتضاه ، والآيات والبراهين أعطاها الله جل وعلا الأنبياء ومنها آيات كما ذكرنا في البينة آيات سماعية ومنها آيات مرئية ، ومنها آيات لله جل وعلا مدركة ، فمن الآيات السمعية آي القرآن الكريم ولهذا سميت آية لأنها دليل واضح ظاهرٌ لا ريب فيه ولا شك على مضمونه وعلى ما اشتملت عليه ، هذه الجملة التي سميت آية فهذه آية مسموعة والقرآن كله آية وكل سورة منه آية يعني لنبينا عليه الصلاة والسلام وكل آية منه آية ، وإن كان العلماء يقولون لم يقع التحدي بآية إنما وقع التحدي بالقرآن كله أو بعشر سور أو بسورة ، كما قال جل وعلا قل لإن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا وكقوله قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وكقوله فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين أما الآية فلم يقع بها تحد لكنها سميت آية

والآية كما ذكرت لك في تعريفها تنطبق على كل جملة من جمل القرآن فإن كل قطعة أو جملة سميت كل مقطع سميَّ آية فيه الدلالة الواضحة البينة على أن هذا من كلام الله جل وعلا ، وعلى أن فيه من الدليل على وحدانية الله أو على صدق نبيه أو على أن هذا القرآن من عند الله جل وعلا ما يثبت الحق ويظهره ويدل عليه ، ومن الآيات المرئية مثلاً لنبينا عليه الصلاة والسلام مثل انشقاق القمر ومثل نبع الماء بين أصابعه وهذا قد أعطاه الله جل وعلا أيضاً عدداً من الأنبياء كعيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله وكعصى موسى عليه السلام وأشباه ذلك مما يورد ، والثالث آيات مدركة ، والله جل وعلا أعطى بعض الأنبياء آيات لكنها آية مدركة ليست آية مرئية أو مسموعة هذا كثير حتى إن هوداً عليه السلام قال طائفة من أهل العلم إنه لم يعط آية ويستدلون على ذلك بقوله قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي ألهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قالوا ولم يأت في القرآن آية له والمقصود بذلك أنه لم يذكر أنه أوتي آية مسموعة أو مبصرة لكن الآية المدركة التي تدركها النفس ويدركها القلب ويتفكر فيها العقل ظاهرة وهي أن هذا الفرد الواحد معه من التأييد والقوة ما يخالف الأمة أُمة زمانه بكاملها ويعلن الحق ويتبرأ من معبوداتهم ولا يستطيع أحد أن يؤذيه أو أن يوصل إليه سوءاً ثم مع ذلك فإنه انتصر عليهم وغلبهم وهذا دليل يتفكر فيه ويتأمل فيظهر كونه آية وبرهان ، المقصود أن

قوله جل وعلا قد بيَّنَّا لكم الآيات أنه يشمل الآية المسموعة والآية المرئية ويشمل الآية المدركة وفي هاتين الآيتين في الثلاث جميعاً فيها الآية المسموعة في قوله جل وعلا ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وفيه الآية المرئية وهي أنهم يرون أهل الكتاب كيف حرفوا كتابهم وكيف غيروا سبيله وكيف بدلوا فقست قلوبهم وهم يرون قسوت قلوب اليهود وقسوت قلوب كثير من النصارى وأنهم لم ينتفعوا بما عندهم بل كان كثير منهم موصوفاً بالفسق والضلال ثم الآية المدركة , الآية المدركة التي إذا تأملها الإنسان علم مضمونها أو علم مقتضاها أو ما دلت عليه وهي إحياء الأرض بعد موتها ونص عليها في هذه الآية وأكد وثبت بقوله اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون وقوله هنا لعلكم تعقلون لعل هذه هي في الأصل للترجي والله جل وعلا يدعوا عباده للعقل فإذا كان في الآية كلمة لعل فإنها إذا أضيفت إلى الله جل وعلا فإنها على سبيل التحقيق هي وعسى وإذا جاءت في الآية للمخلوق فإنها دعوة إلى ما بعدها قال : لعلكم تعقلون هذه دعوة للعقل والتفكر والتدبر تعقلون عقل هذه متعدي , عقل المرء الشيء فهنا المفعول ليس موجوداً وهذا كثير في القرآن دائماً يحذف مفعول تعقلون لقوم يعقلون إن في ذلك للآيات لقوم يعقلون وأشباه ذلك فلماذا حذف أولاً ثم ما التقدير ثانياً أما حذفه للسببين .

الأول : أن السياق يدل عليه .

والثاني : لإعمال الفكر أيضاً فيما طلب عقله والتفكر فيه .
والمسألة الثانية : المحذوف ما هو يقدر في كل آية أو في كل جملة بما يناسبها فقوله هنا لعلكم تعقلون يعني لعلكم تعقلون ما به سبب حياتكم ونجاتكم وخشوع قلوبكم لذكر الله .
قال   إن المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعف لهم ولهم أجرٌ كريم هذه الآية كما سمعت في تفسيرها فيها التأكيد من الله علي أن الذي يبذل ماله ويتصدق ويقرض الله قرضاً حسنا بما فعل وبما قدم وما تصدق وما أنفق فإنه يضاعف له ذلك والمضاعف هو الرب وليس لأضعافه سبحانه نهاية كما جاء في الحديث ((ما من أحد يتصدق بصدقة من كسبٍ طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا وقعت في كف الرحمن فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون كأعظم من الجبل)) وفي الحديث الآخر أن التضعيف إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ثم وعد بأن له الأجر الكريم الذي فاق جميع الأجور في عدده وفي وصفه وصار متميزاً فيما يوصف به من كونه أجراً وثواباً وعاقبة . وقوله هنا إن المصدقين والمصدقات مصدق أصلها متصدق , والمصدقات يعنى المتصدقين والمتصدقات وفي القراءة الأخرى كقراءة ابن كثير هي سبعيه في القراءة الأخرى إن المصدقين والمصدقات من التصديق لا من الصدقة والقراءتان معناهما مختلف ودلالتهما في هذا السياق أيضاً مختلقة فأما المصدقين فإنها من

الصدقة وهي قراءة الأكثر من السبعة والصدقة هنا مناسبة لأن الصدقة جاءت بعد ذكر حياة القلوب وقسوة القلوب وضرب المثل لذلك , والصدقة بالمال , والصدقة بجميع أنواعها كما سيأتي هذه بها لين القلب وتخلص القلب من الشح والرغبة فيما عند الله جل وعلا , وسيأتي ما في الصدقة بأنواعها من الأثر على النفس وعلى الغير إن شاء الله .
أما التصديق إن المصدقين والمصدقات فهذا أيضاً مناسب لما قبله خلافاً لمن قال إنه لا يناسب الآية أو لا يناسب ما قبلها لأن التصديق هو أساس الاستفادة من الأمثال , وأثاث الاستفادة من أوامر الله جل وعلا فلما أمر الله جل وعلا بذكره وخشوع القلب له بقوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الصحابة رضخوا لذلك لا لكونهم متصدقين ولكن لكونهم مصدقين , وهذا من فوائد تعدد القراءات ومن فوائد تعدد الأحرف السبعة في الأصل أن كل حرف من الأحرف السبعة أو كل قراءة من القراءات الموجودة السبعة أو العشر أو القراءات المتواترة الأخرى فإن هذه تعطي معاني كثيرة مختلفة توسع دلالة القرآن وتوسع مدارك المؤمن فيما أخبر الله جل وعلا به أو أمر أو نهى أو حض عليه أو حث فقوله هنا إن المصدقين والمصدقات على القراءة الأخرى هذه فيها ذكر تصديق , وأن الله جل وعلا يضاعفُ للمصدقين وهذا يوافق الأصل وهو أن التضعيف الذي أخبر به النبي أن المؤمن إذا جاء بالحسنة أو تصدق فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إن هذا يختلف كما ذكرت لكم من

قبل يختلف بحسب تصديق العبد ومقامه في الإيمان وحسن يقينه وصدق توكله على الله جل وعلا ومحبته له , هذا يختلف باختلاف الناس منهم من يعمل كثيراً لكن المضاعفة لهم قليلة ومنهم من يعمل قليلاً ولكن يضاعف له إلى أضعاف كثيرة لا يعلم كثرتها ولا عددها إلا الله جل وعلا , لهذا أبو بكر الصديق قال فيه النبي ((لو وزن إيمان الأمة وإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر)) فقال أحد القراء وهو شعبة أبو بكر قال : ما سبقهم أبو بكرٍ بكثرة صلاةٍ ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه , وهذا في الحقيقة مناسب لهذه الآية خلافاً لمن زعم أنه غير مناسب بل كل قراءة من القراءات تفيدُ معناً غير الذي في القراءة الأخرى , فقوله هنا إن المصدقين والمصدقات هذا فيه ذكر التصديق , وأثر التصديق في حياة القلوب هذا ربط بالآية التي قبلها , وأثر التصديق في المضاعفة , والأجر الكريم , وقوله إن المصدقين والمصدقات هذا فيه ذكر الصدقة , والمصدق هو الذي يكثر الصدقة , والمصدقات اللاتي يكثرنَ الصدقة , والصدقة هنا ظاهر أن المراد منها صدقة المال , ولكنها في القرآن أوسع فإن هناك صدقة المال ثمَّ صدقة اللسان وثمَّ صدقة الجوارح , والمفاصل كما صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((على كل سلاما من الناس صدقة)) وذكر الحديث المعروف ثم قال : في أخرها ويجزيء عن ذلك السلامة اللي هي الفاصل , مفاصل الإنسان على كلٍ منها صدقة يبذلها منها صدقات قولية , ومنها صدقات عملية , ومنها إنفاق , ومنها أمر

بالمعروف والنهي عن المنكر , ومنها ذكر ثم قال في أخرها . ويجزئ عن ذلك ركعتين يركعهما العبد من الضحى , هذا فيه المعنى الواسع للصدقة هل هذه الآية المراد منها المعنى الصدقة بالمال أو الصدقة بمعناها الواسع الأظهر أن المراد منها صدقة المال لأنه قال بعدها وأقرضوا الله قرضاً حسنا والقرض الحسن هذا إنما يكون في صدقة المال كما مر معنا في الآيات التي قبلها من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له وله أجرٌ كريم بعد أن ذكر النفقة في قوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل إلى أخر الآية وقوله وأقرضوا الله قرضاً حسنا هذه جملة اعتراضيه يعني جاءت بين الاسم والخبر , وذكرت لكم فيما مضى معنى القرض , وأن القرض حقيقة وليس مجازاً لأن الله جل وعلا هو الذي سماه قرضاً ولأنه يعطى الإنسان بدله يوم القيامة ويوفيه الله جل وعلا أجره , ثم قال في أخر الآية ولهم أجرٌ كريم   وأقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعف لهم ولهم أجرٌ كريم الأجر الكريم مر معنا نكرره مره أخرى , كلمة كريم في القرآن وفي اللغة معناها ما فاق أو ما زاد عن جنسه في صفات الكمال بحسبه , فالكريم من النبات ما كان أفضل جنسه كما قال جل وعلا في أول سورة الشعراء وأنبتت من كل زوج كريم كريم من النبات هو ما كان أفضل جنس ما ينبت , وهذا ظاهر فيما يخرجه ماء المطر من النبات فإنه أفضل من جنس النبات الباقي أو الدائم , كذلك الإنسان يقال هذا كريم إذا صار فيه صفات الكمال وصفات يحمد عليه مثل أن

يكون ذا نجدة في المعروف ومثل أن يكون يتصدق يبذل وجهه يبذل جاهه , يبذل ماله , يبذل الندى يسعى في الخير ومنه أيضاً أن يكون يقري الأضياف لكن العرب خصت الذي يقري الضيف بالكرم لأن هذه كانت أعظم الصفات وقل من يفعل ذلك فقيل هذا رجلٌ كريم , يعني فاق الناس في صفات الكمال البشري لأنه صار يكرم الأضياف إلى أخره , لكن كلمة كريم يعني هو أفضل ما يكون وهنا الله جل وعلا نعت الأجر ووصفه بأنه كريم , قال ولهم أجرٌ كريم والأجر الكريم إن كيف أجر كريم الأجرٌ يعني معنى الآية , ولهم أجرٌ فاق أنواع الأجور في وصفه والأجر له جهتان , جهة كم , وجهة كيف , والأجر الذي وعد الله به عباده يكون فاق غيره أو فاق جنس الأجور التي يتعاطها الناس , كيفاً وكماً عدداً ووصفاً والله جل وعلا هو الأعلم بحدود ذلك وتقدست أسمائه وهذا في الحقيقة فيه لطف الله جل وعلا بعباده وفيه رحمة الله بعباده وحسن إثابته لهم فإنهم يعملون الأعمال القليلة ثم يُعطون عليها الأجور الكريمة والمباركة وحسن الثواب وإذا تأمل العبد وجد أن أصل انبعاث العمل في نفس المؤمن إنما هو من الله جل وعلا أصل انبعاث العمل وحب الإيمان وحب الله جل وعلا وحب رسوله وتحقيق توحيد الله جل وعلا , والإنابة والقيام بالعبادات أصل ذلك من الله جل وعلا , بهذا قال في آية سورة الحجرات بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين يمن عليكم يعني يعطي عطاءً لم تأتوا منه بسبب , هو الله جل وعلا يمن على العبد فمن بوجود

الإيمان ومنّ بانبعاث النفس في أنواع الخير , ومع ذلك هو جل وعلا يضاعف للعبد لأنه بذل الأسباب في ذلك ورغب فيه بطوعه واختياره والله سبحانه وتعالى يعين العبد ويوفقه , والعبد إذا أراد سبب الخير وأقبل عليه فإن الله يعينه ويوفقه , ومع ذلك يأجره ويُثيبه ويرفع درجته ويضاعف له ويعطيه الأجر الكريم في وصفه وفي ذاته , فهل بعد هذا , هل بعد هذا الكرم كرم , وهل بعد هذه الرحمة رحمة , وهل بعد هذا الإحسان إحسان , والناس يحبون من يحسن إليهم يحبون من الناس من يبذل لهم من المعروف ولو شيء , ومن يحسن إليهم ولو شيء , ومن يتودد لهم ولو بشيء أليس الله وتقدست أسمائه هو الأحق بحب العبد له وبذله له , وبإقباله عليه بإخلاص الدين له وعدم رؤية الأغيا , وأن يستعمل الإخلاص في كل أحواله وفي كل أعماله وأن لا يرى شيء من الدنيا يصرفه عن الله لا شك أن هذا متعين وفي الآيات هذه فتح للأبواب الخير للقلب من مصارعها , أعاننا الله وإياكم على الحق والهدى وجنبنا قلوبنا القسوة وجعلنا من المصدقين والمتصدقين إنه سبحانه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وهيئ لنا من أمرنا رشدا . أما بعد ....

فهذه الآية من هذه السورة سورة الحديد , يقول الله جل وعلا فيها والذين أمنوا بالله ورسله أولئك

هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم في هذه الآية ذكر للمؤمنين بالله والمؤمنين برسله , وأن هؤلاء إذا كملت درجة إيمانهم وصلوا إلى مرتبة الصديقيه التي هي من أعلى مراتب الإيمان بل أعلى مراتب الإيمان في هذه الأمة , والصديقون هم جمع صديق وهو الذي عظم صدقه فالصديق فاعيل مبالغة من صادق أو مصدق , وهذه إنما تنبغي لمن كمل تصديقه بالله جل وعلا وبما أخبر الله جل وعلا به عن ذاته وعن أمور الغيب وعن ما سبق وعن ما سيأتي فهم مصدقون بذلك تصديقاً عظيماً شديداً كأنهم يرونه وتصديق هذا يتفاوت الناس فيه ليسوا فيه على مرتبة واحدة فمنهم من يكون تصديقه قوياً شديداً ومنهم من يكون أقل من ذلك ولهذا سمعت الخلاف في هل الصديقون غير الشهداء , أم أن الصديقون والشهداء طائفة واحدة على قولين معروفين عند السلف في هذه الآية وسبب الخلاف في ذلك أمران :

الأول : أن الشهادة تختلف عن مرتبة الصديقيه هذه , الشهيد غير الصديق لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ولا من جهة أيضاً ما جاء في النصوص ذكر الصديقين فيه وذكر الشهداء كما قال جل وعلا في الآية الأخرى في سورة النساء ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما والأصل في الواو أنها للمغايرة مغايرة الفئات في هذه فيكون الصديقون غير الشهداء .

والسبب الثاني : أن سياق الآية فيه ما يشعرُ بالمفارقة ما بين الصديقين والشهداء فجعل خبراً , فجعل الصديقين في خبر , وجعل الشهداء في خبر فقال والذين أمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وقال بعدها والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم فتلك جملة وهذه جملة والسياق يشعر بأن الجملتين خبريتان كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى , ولهذا عطف بعدها فذكر فئتا الكفار فقال والذين كفروا إلى أخره قد ساق لك ابن كثير شيء مما يشهدُ لهذا وهذا , ومن قال إن الصديقين هم الشهداء فهذا محمول على أن الشهيد في هذا المقام لما استشهد صار صديقاً لأنه أثبت تصديقه العظيم وأثبت شهادته الصدق بأن بذل دمه في سبيل الله جل وعلا و وهذا يدل عليه الحديث الذي ساقه الحافظ بن كثير عن فضالة بن عبيدٍ عن عمر عن رسول الله وهناك من يحمل أيضاً أن الشهداء هنا ليسوا جمع شهيد , وإنما هم جمع شاهد فإنه يأتي من كل أمةٍ شهيد يعنى شهيد لا من الشهادة في الدنيا وهي القتل في سبيل الله و وإنما هي بمعنى الشهادة بأنه يشهد على غيره , وإنما يشهدُ على الأقوام خيرهم , وأعيانهم وأفضلهم كما قال جل وعلا فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد ,جئنا بك على هؤلاء شهيدا فكل أمةٌ لها شهيدٌ يشهد عليها , ولقد قال جل وعلا في أخر سورة الزمر ووضع الكتابُ وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون الشهداء هنا هم الذين يشهدون على ما فعل أقوامهم من خيرٍ أو شر ويشهدون للمرسلين

بالبلاغ , ويشهدون على الأمة بأنها بلغت وهذا يكون حينئذ العطف بالواو يكون عطفا مغايرة الصفات ، وليس بعطف مغايرة ذوات وإذا تأملت الآية لم نجد فيها ما يرجح أحد الجهتين فإن هذين القولين متقاربان من قال بالتفريق فله دليله ومن قال بأنهما فئة واحدة فله دليله أيضاً وبقائها على ما يحتمل القولين أولى لظهور فائدة التنويع وتعدد التفسير على فهم الآية قال جل وعلا والذين آمنوا بالله ورسله معلومٌ أن الإيمان يتفاضل الناس فيه الإيمان بالله يتفاضل الناس فيه وكذلك الإيمان بالرسل يتفاضل الناس فيه ، قال أولئك هم الصديقون فالصديقون يتفاوتون في درجة الإيمان وإذا كان التصديق كما هو معلوم في القلب فإن التصديق يكون في القلب ويكون أيضاً في العمل فلا ينعزل العمل عن أنه يكون تصديقاً إما لأنه أثر لتصديق القلب ملازم له لا ينفك عنه أو أنه من التصديق وجزءٌ منه باعتبار التصديق الشرعي لا التصديق اللغوي ولهذا قال جل وعلا في سورة الصافات لما أخبر عن قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل قال سبحانه يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى * قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين قال   فلما أسلما وتله للجبين يعني حصل الفعل أسلم واستسلم لله جل وعلا ولأمره واستسلم أيضاً هذا يقتل أو يذبح وذاك مذبوح فلما أسلم وتله وللجبين * وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فدل على أنه حصل التصديق بعد مباشرة العمل لهذا قال طائفة من أهل السنة إن التصديق

اللغوي غير التصديق الشرعي فالتصديق اللغوي هذا هو تصديق القلب مجرداً بمعنى أنه يصدق بالخبر ولا يكون عنده ريب فيما أخبر به حيث اعتقاد القلب وأما التصديق الشرعي فإنه ينضم إلى ذلك عمل ، العمل الذي يدل عليه التصديق استدلوا بهذه الآية ، فقوله هنا والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون دليلٌ على أن الصديقين بلغوا أعلى المراتب لأنهم جعلوا تصديقهم عملاً واعتقاداً وقولاً كما هي حال صديقي هذه الأمة كأبي بكر وعمر وعثمان والعشرة ونحوهم والإيمان بالرسل يعنى به الإيمان بالرسل البشريين الذين جاءوا بالرسالات لبني الإنسان والإيمان بهم هو ركن من أركان الإيمان كما هو معلوم فقوله والذين آمنوا بالله ورسله يشمل أركان الإيمان الستة ثم قال : أولئك هم الصديقون وهذه فيها من جهة البلاغة رفع لمنزلتهم لما جاء بأولئك لأن أصل الخبر والذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون فلما جاء بأولئك دل على رفعة منزلتهم وعظم شأنهم عند مولاهم وقوله والشهداء عند ربهم كما ذكرت لك فيها وجهان من الإعراب .

الأول : أن تكون الواو عاطفة تعطف الشهداء على الصديقون فيكون الكلام أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم يعني هم الصديقون عند ربهم وهم الشهداء عند ربهم .

الوجه الثاني : أن تكون الواو هنا استئنافية فيكون المعنى والشهداء : الشهداء مبتدأ ، عند

ربهم لهم أجرهم ونورهم وتكون جملة لهم أجرهم ونورهم هي الخبر ، والشهداء كما ذكرت لك جمع شهيد ، والشهيد هو الشاهد ، وقد تكون الشهادة بالقول وقد تكون الشهادة بالفعل عمل ، فالشهادة بالقول هي أن يشهد على غيره والشهادة بالفعل هي أن يهراق بالدم في سبيل الله تعالى ولفظ الشهيد من الألفاظ التي جاءت بعد الشريعة ، والعرب لا تسمي من قتل في المعركة شهيداً لأنه لا يدل على أنه شهد عندهم على شيء وهذا الذي استشهد في سبيل الله صار شهيداً شاهداً بدمه وشاهداً بما بذل على أنه يريد الدار الآخرة وعلى أن الجنة حق والنار حق وعلى أن هذا الدين حق ولهذا عظم أجرهم لأن دلالاتهم ونفعهم وتصديقهم وإيمانهم صار في مرتبة رفيعة ، وأما الشهادة القولية المقصود بها هنا الشهادة في الآخرة وهي أن يبعث الشهداء يشهدون على أممهم وعلى أقوامهم وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في الصحيح وغيره أن النبي قال : (إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) وكلمة عند هنا ، والشهداء عند ربهم ، عند هذه من أهل العلم ومن أهل السنة من استدل بها على علو الله لأن العندية هنا هي عندية علو لأنها تقتضي في هذا المقام رفع درجة الشهداء وكما جاء في الحديث (أرواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح في الجنة ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش) وقوله لهم أجرهم ونورهم مر معنا في هذه السورة عدة مرات أن الأجر هنا على حقيقته وهو ما يعطاه الإنسان مقابل عملٍ عمله وإن كان لا يأخذه إلا

برحمة الله جل وعلا وبفضل لا بمحض المقابلة ، والنور هنا ذكر في عدة آيات في هذه السورة وفي غيرها وذكرنا لك أن النور يتفاوت الناس فيه فمنهم من يعطى نوره في إبهامه ومنهم من يعطى نوره كالبرق ومنهم من يعطى نوره كالضياء الواسع وهكذا بحسب درجاتهم في دينهم ، (نعم باقي الآيات واضحة) قال الله جل وعلا هنا أعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر بينكم في وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حُطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور هذه الآية أصل في أن الدنيا محقرة عند رب العالمين وأنها مزهد فيها وأنها ليست بدار قرار وإنما هي دار عبور وأنه لا يغتر فيها إلا المغرور وأما العاقل البصير الذي نفد الإيمان إلى قلبه فإنه لا يغتر بهذه الحياة الدنيا مهما بلغت زينتها ومهما بلغت اهتزازها ومهما بلغت نضرتها لهذا قال جل وعلا إعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينة إلى آخر الآية وفي قوله اعلموا هنا ما يفيد تنبيه على المراد من هذا المثل وعلى المراد من هذا الخبر وعلى الحكمة منه وهو أنه يستيقظ الإنسان من غفلته من إعجابه بهذه الدنيا وركونه إليها إلى أنها لعب ولهو وزينة ولا شكٍ أن اللعب غير محمود عند عقلاء الناس واللهو أيضاً غير محمود عند عقلاء الناس وأما الزينة هي متاع يذهب ليس بثابت وذكر جل وعلا بعدها المثل فهذا الأمر في قوله اعلموا مفيدٌ إلى لفت النظر إلى الحقائق وأن الإنسان ينبغي له أن يدرك العلم الذي

وراء ما يجري ، اعلموا يعني اطلبوا العلم والعلم هو الحقيقة الموافقة للواقع فهل الحقيقة الموافقة للواقع أن هذه الحياة هي المقصودة وهل الحقيقة الموافقة للواقع أن هذه الحياة باقية ، وأنها تتطلب مطلقاً وأنها تؤثر على دارٍ باقية لا شك أن العلم الذي ينتج عن فكرة وتأملٍ وتدبر يفيض على صاحبه اعتقاداً ويقيناً أنه لا يغتر بهذه الدنيا إلا مغرور وأنه لا يلتفت إليها التفات قلب إلا مخذول وأن العاقل الذي وفقه الله جل وعلا فإنما يأخذ من دنياه لآخرته وتكون في يده عوناً له على ما يستقبل في الدار الآخرة ، قال جل وعلا اعلموا أنما الحياة الدنيا وأنما هذا حصر يعني حقيقة الحياة الدنيا لمن أرادها أنها لعب ولهو وزينة وتفاخر وسماها دنيا لأمرين .

الأول : أنها دنيا من الدنو وهو أنها قريبة لملابستها للإنسان والإنسان يعيش فيها والأخرى متأخرة فصارت هذه قريبة وتلك بعيدة أو هذه أولى وتلك متأخرة .

والثاني : أنها دنيا من الدناءة ما ذكرها طائفة من أهل العلم أنها دنيا من دناءتها وحقارتها ووضاعتها قد جاء في الترمذي وفي غيره الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه وعالماً ومتعلماً , هذا يدل على أنها ليست عند الله بشيء كما جاء أيضاً في الحديث الأخر الصحيح ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقا كافراً منها شربة ماء)) ولكنها دار كما وصفها الله جل وعلا هنا لعب ولهو وزينة وتفاخر واللعب هو ما يتسلى به لتمضية

الوقت , واللهو هو ما يلهو به الإنسان من لهوه مع أهله أو لهوه بما يجم نفسه مع فرسه أو مع أولاده أو نحو ذلك أو لهوه مع من يلهو معه وكما جاء في الأثر كل لهوٌ يلهو به المرء فهو باطل إلا ملاعبته لأهله أو تأديبه لفرسه أو رميه بقوسه , وهذا يدل على أن اللهو في الجملة ليس بممدوح بل هو مذموم , لهذا طائفة من الفقهاء يرون أن كل أمرٍ من اللهو فإنه إما مكروه وإما محرم فلا يوصف شيء من اللهو بأنه محمود إلا هذه الثلاثة أو ما كان في معناها , والزينة , الزينة هي ما يضاف إلى الشيء من خارجه ويكون عرضاً يأتي ويذهب يلابس ويمضي فاللباس زينة والمتاع زينة , ولهذا الحياة كلها صارت زينة لأنها مثل اللباس يأتي ويخلع ويذهب , والزينة في القرآن على العموم هي خارجةٌ عن الذات , فالذات يقال لها جميلة , وهذا جميل إذا كان في ذاته حسنة , أما إذا كان الجمال مجلوباً فإنه يقال مزين زينة , زين فصار زينةً , لهذا قال جل وعلا إنَّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوكم آيكم أحسن عملا وقال جل وعلا يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يعمي لباسكم , لهذا بالمناسبة في قوله جل وعلا في سورة النور ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها والخلاف في الزينة هل هي الوجه أو الكحل أو الأشياء التي يزين بها , أو الزينة الأمر يعني الوجه نفسه أو اليدين أو ما هو داخل في جسد المرأة , أو أن الزينة هنا مجلوبة وهي الثياب وما قد يظهر من الزينة المجلوبة في المرأة ومن أوجه الترجيح إلى أنها اللباس والثياب وما أشبه , إن الزينة في القرآن

كله ليست في الذات وإنما هي مجلوبة للذات , مجلوبة للعين وليست منها مثل اللباس ونحوه , والآيات التي سمعتم كلها تدل على هذا , كذلك الله جل وعلا جعل النجوم زينة للسماء إن زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فالكواكب غير , هي النجوم غير السماء مجلوبة للتزيين , وهكذا اللباس وهكذا ما على الأرض من شجر وأنهار ونحو ذلك وجمال , هذه زينة , زينة ليألف الإنسان ويستلذ بما في الأرض , المقصود الحياة الدنيا نفسها في هذه الآية سماها الله جل وعلا زينة مما يدل على أنها الحياة كلها زينة مما يدل على أنها عرض مجلوب , هو أحق شيء أن يذهب مثل ما يذهب اللباس ومثل ما يذهب أي شيء زين به شيء أخر , فهي بالنسبة للإنسان زينة له لكنها ستذهب الحياة لا شك أنها زينة , لكنها زينة ذاهبة لأن الزينة ليست على الاستقرار وإنما هي على الذهاب , قال جل وعلا بعدها وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد التفاخر هو المغالبة إما بالمال أو بالجاه أو بالولد أو بما عند الإنسان من المفاخر ومن النسب ونحو ذلك , يعني الحياة فيها مغالبة وفيها فخر وهذا يرتفع على الآخر بكذا وهذا يرتفع عليك بكذا , والمفاخرة مفاعلة تكون من الطرفين , يعني كل واحدٍ يطلب فخره بشيء والحياة فيها أشياء كثيرة يطلب الناس الفخر بها , والتفاخر في الجملة مذموم إلا بالإيمان والتقوى والصلاح , ومن أنعم الله جل وعلا عليه بشيء فإنه لا يدل ذلك على أنه يفاخر به ويغالب غيره به فإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء , قد كان هدي السلف رضى الله عنهم

أنهم كانوا إذا أُتوا شيء من الدنيا فإنهم يخشون على أنفسهم لا يفاخرون به , وإنما يطلبون أن يكون في مرضاة الله   وتكاثر في الأموال والأولاد التكاثر في الأموال هذا من طبيعة الإنسان فحُبب إليه المال وقل من يتخلص من حب المال , قال جل وعلا زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وقال   ألهاكم التكاثر التكاثر في المال , التكاثر في الولد , التكاثر في أنواع ما يتكاثر فيه , والأموال هنا جمع مال , وهو كل ما يتمول , فالنقدان الذهب والفضة أو العمل النقدية والأوراق إلى أخره , هذه كلها مال لأنها تتمول , كذلك العقار مال لأنه يتمول , كذلك المزارع والزروع والثمار مال , كذلك بهيمة الأنعام مال كذلك التجارات من حيث هي مال فالمال اسمٌ لما يتمول هذا هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة , لأن المال يشمل كل ما يتموله الإنسان يعني يعده لمستقبل أو يعده لقيمة فيه , وهذا قد يدخل فيه صور جديدة لم تكن في السابق , لهذا الفقهاء والمجتهدون في هذا العصر أخذوا من هذا الأصل أن بعض الصور الحادثة في الفقه تعالج بهذا الأصل مثل العلامة التجارية مثلاً بيع العلامات التجارية , والاختصاص التجاري ونحو ذلك , هذه العلامات والأسماء , والاسم التجاري المعين أو الذي صار له شهرة هذا في حد ذاته يتمول لأنه له قيمة وإن كان شيئاً عرضياً اسم , فمن أهل العلم من منعه قال لأن هذا ليس بشيء على الحقيقة , وليس بشيء يعني ما له شيء عيني يدفع فيه ملاين الريالات ,

والصحيح هو أن هذا من الصور العصرية التي تتمول لها قيمة مالية ويتمولها الإنسان إذا كان عنده شيء من ذلك أو الشركة لها اسم مشهور فإن هذا جزء من ماليتها وقوتها , فلذلك لما كان مالاً أو لما كانت تتمول فيدخل في البيع لأن البيع مبادلة مال بمال , وهذا ليس بمحرم إلى أخره في بحث فقهي ليس هذا بمحله لكن المقصود أن قوله وتكاثر في الأموال سابقاً التكاثر في النعم يعني في بهيمة الأنعام للغنم أو البقر أو الإبل أو تكاثر في بعض المال الذهب والفضة وتكاثر مثلاً في العقار أو في الضيعات أو نحو ذلك , ولكن في العصر الحاضر ترى أن التكاثر صار في أشياء أخرى جديدة , وهذا داخل في هذا العموم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد , ثم ضرب الله جل وعلا المثل الذي يدل على أن الدنيا ليست بشيء بمثلٍ واضح ظاهر , قال جل وعلا كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفر ثم يكون حطاما والمثل ظاهر سمعت من كلام ابن كثير ما يدل عليه لكن قوله كمثل غيث الكاف هنا كمثل غيث قال اعلموا إنما الحياة الدنيا كذا وكذا ثم قال كمثل غيث فالكاف هنا هي اسم وليست بحرف يعني أن تقديرها مثلها مثل غيثٍ , والكاف تأتي بمعنى مثل كقوله جل وعلا ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدُ قسوة قوله فهي كالحجارة يعني هي مثل الحجارة ودل على أنها بمعنى مثل إنه عطف عليها اشد قال فهي كالحجارة أو أشد قسوة ويدل عليها أيضاً قول كُثَير في بعض شعره .

لو كان في قلبي كقدرٍ قُلامةٍ حباً
لغيرك ما أتتكِ رسائلي

قال لو كان في قلبي كقدر وهنا لم يأتي اسم كان لو كان في قلبي كقدر قُلامةٍ فأين اسم كان صارت في الأولى شبه جملة في قلبي لو كان في قلبي , والثانية كقدر قُلامةٍ أيضاً لو قلنا إن الكاف هنا هذا صارت شبه جملة , لكن الكاف هنا بمعني مثل وتكون هي اسم كان مؤخر , المقصود من ذلك الظاهر هنا في قوله كمثل أنها مثلها مثل غيثٍ أعجب الكفار نباته إلى أخره , وهذا المثل مضروب في القرآن في عدة سور في أن الدنيا هذا مثلها قوة , بداية وقوة , واهتزاز , ونضرة وخضرة وثمر وجمالٍ , ثم بعد ذلك يبدأ الاصفرار ثم يموت فيكون هشيماً تذروه الرياح , قال جل وعلا بعدها وفي الآخرة عذابٌ شديد ومغفرة من الله ورضوان قوله وفي الآخرة الظاهر أن الواو هنا استئنافية وأن الأنسب الوقف على قوله ثم يكون حطاماً عدد من أو في كثير من المصاحف وكتب الوقف والابتداء يجعلون الوصل هنا أولى يقولون ثم يعني يكون على حطاما الوصل أولى لحرف صلي , وهذا لأجل ترتب الجمل , والظاهر هنا أن قوله وفي الآخرة هذا غير مرتب على ما قبله , لهذا يكون هو من قبيل التهديد والتخويف , قال والترغيب قال وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان يعني في الآخرة عذاب ومغفرة فمن أدرك الحقائق علم أن الدنيا زائلة ومتاع الغرور والآخرة هي التي فيها العذاب الحقيقي التام الدائم

هو لأهل الكفر , وهي التي فيها المغفرة من الله والرضوان , قال جل وعلا يعني التحليلات اللغوية كثيرة لكن نمر عليها باختصار وفي الآخرة الآخرة معروفة سميت آخره لأنها هي الحياة الآخرة مقابلة بالحياة الأولى وهي الدنيا , والعذاب اسمٌ لكل ما يؤلم وأصله مأخوذٌ من العذب وهو الحبس , ولذلك سمى الماءُ الخالي من الشوائب والتراب ونحوهما سمي عذباً لصفائه لأنه يؤخذ ويحبس في إناءٍ كبير حتى يصفوا مما يعلق به عادةً , وهنا سمي مايؤلم عذاباً كما قال الراغب وقاله غيره أيضاً لأنه حبس عن النفس ما يؤنسها وتلتذ له وتنعم به وأفاض عليها أضداد ذلك مما يشقيها ويؤلمها ويؤذيها , ووصف العذاب هنا بأنه شديد , يعني أن تلك الإفاضة من المؤلمات والمؤذيات والنيل أنها شديدة لأن العذاب درجات قال ومغفرة من الله ورضوان يعني لأهل الجنة , والمغفرة كما ذكرت لك هي بمعني ستر في الذنوب والخطايا والستر يكون بشيئين :

ستر بعدم المؤاخذة بها , والثاني سترٌ بعدم ظهور أثارها لأن الذنوب والمعاصي لها آثار لابد أن تقع لأن العاصي عصى ربه عصى المالك عصى سيد هذا الكون عصى الذي هو مدبر هذا الكون والذي يملكه فالأصل أنه مادام هو الملك وهو الذي يملك هذا الملكوت فأمره هو النافذ ولا تجوز مخالفته في صغيرٍ ولا في كبير لأنه هو المالك المتصرف , والعبد لا يخالف سيده في شيء وإلا يكون معرضاً للعقوبة , فإذا وقع الذنب فإن العقوبة لابد أن تقع

إلا أن يمحوا الله جل وعلا أثرها وقد أجاد العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه ((الداء والدواء)) أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي في بيان آثار الذنوب والمعاصي , الآثار الكونية , والآثار الذاتية في ذات الإنسان والشرعية والكونية في حياة الناس بأجمعهم فالمغفرة هي سترُ الذنب بمحوه , وبعدم المؤاخذة أو عدم ظهور أثرة وعقوبته .

قال مغفرة من الله ورضوان وقوله من الله يشعر بالمنة والفضل وأن المغفرة لا تكون إلا من الواحد الأحد قال ورضوان والرضوان معروف وهو أنه يرضى عليهم فلا يسخط بعدها أبدا ولهذا جاء في الحديث أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها قال لهم الله جل وعلا إن لكم موعداً عندي فقالوا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار , ألم تبيض وجوهنا ألم , ألم فقال الله جل وعلا أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعدها أبدا هذا هو الرضوان العظيم من الله جل وعلا رضي الله عنهم ورضوا عنه قال سبحانه بعدها وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وهذه هي حقيقة الحياة أنها متاع زائل لكن لمن يغتر , أما العاقل المؤمن البسيط فإنه لا يغتر بها وإنما يأخذ منها لأخرته , ولذلك نظر طائفة من أهل العلم في الزهد والمال وما يعطاه الإنسان هل ينافي معرفة حقيقة الحياة والزهد فيها فمن أهل العلم سواء من السلف أو من أرباب السلوك أو من الشراح شراح الأحاديث في تعريف الزهد من قال إن الزهد هو التقلل من الدنيا إلا بقدر الحاجة

الملحة بقدر الضرورة , والزهد هو ترك الدنيا إلا بما يحتاجه الإنسان لإقامة حياته وهذا تعريف فيه قصور في فهم الزهد الشرعي وحال الصحابة وهم ثابت الزهاد فيهم الغنى العظيم , وفيهم الغنى المتوسط وفيهم من هو دون ذلك , وفيهم الفقراء والمساكين كما هو معلوم , وفيهم من ترك الدنيا رغبة عنها أصلا , ولهذا من أحسن ما وقفت عليه من تعاريف أهل العلم فيها هو كلام شيخ الإسلام ابن تيميه حيث قال إن الزهد المشروع هو ترك مالا ينفع في الآخرة ترك مالا ينفع في الآخرة , وهذا يوافق الأدلة ويوافق حال السلف في أن ما لا ينفعك في الآخرة فإن الزهد المطلوب هو أن تتركه , الزهد المشروع أن تترك ما لا ينفعك في الآخرة فينفع في الآخرة أحياناً المال إذا كان سيؤتاه العبد الصالح ويقوي به نفسه ويعد به العدة ويتصدق به ويواسي به وأشباه ذلك وينفع في الآخرة الجاه أيضاً لمن استعان به على طاعة الله جل وعلا , وأعان فيه الملهوف والضعيف وقام بحقوقه , وينفع في الآخرة أيضاً النكاح والزواج إذا كان يريد منه أمراً دينياً مشروعاً وليس مجرد التلذذ ونحو ذلك , فإذن الزهد , الزهد من حيث هو ينبع من معرفة حقيقة الحياة وأن الحياة الدنيا إنما هي متاع الغرور كما قال الله جل وعلا فمن أدرك هذه الحقيقة زهد فيها ولم تكن الدنيا قط في قلبه , وإنما تكون في يده إذا أعطاه الله جل وعلا شيئاً منها يصرفها فيما يحبه الله ويرضى , ولا تكون في قلبه قط , لأنها إذا كانت في القلب , فإن الآخرة هي ضرة الدنيا ولا يجتمع في

القلب تمام محبة الآخرة وتمام محبة الدنيا بل هذه تنازع هذه ولابد .

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم ممن تبصر واعتبر وتذكر وتفكر وأن يجعل قلوبنا معتبرة فإن لله جل وعلا في خلقه عبر وللقلوب في تأملها فيما حولها ذكراً وخبرا وأثرا . أسأل الله جل وعلا ألا يكلني وإياكم إلى أنفسنا وأن ينير بصائرنا أنه سبحانه جواد كريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً وفقهً في الدين وعلماً بالتأويل إنك أرحم الراحمين وأجود الأجودين ربنا واشرح لنا صدورنا ويسر لنا أمرنا وقونا في أمرك ونهيك إنك على كل شيء قدير . أما بعد ....

فيقول اله جل وعلا في هذه السورة العظيمة سورة لحديد ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير كما سمعت من كلام العلامة ابن كثير رحمه الله وما نقل على تفسير هذه الآية إن هذه الآية أصلٌ في الاحتجاج بقدر الله جل وعلا السابق بما يشمل مرتبتي العلم والكتابة لأن الكتابة كانت بعد علم الله فأمر القلم أن يجري فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة فهي حجة في مرتبة الكتابة , وأن الله كتب ما علم مما يحصل في

الأرض من مصائب ومن خير علم ذلك فأمر بكتابته في كتاباً هو اللوح المحفوظ , محفوظ من الزيادة والنقصان , محفوظٌ من الاعتداء , محفوظ من التغير والتبديل فما فيه لابد أن تقع الأشياء طبقه وعلى وفق ما كتب فيه لأن الله جل وعلا علم ذلك فكتبه , وكل شيء إنما يجري على ما قد خط في الكتاب رفعت الأقلام وجفت الصحف وهذا الأصل مقرر معلوم لديكم فيما درستم في مسائل الاعتقاد قال جل وعلا ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ما هنا مع إلا هذه تفيد الحصر يعني أنه لا يخرج شيء من هذا الذي أثبته الله جل وعلا , يعني لا يمكن أن تحدث مصيبة ليست في كتاب سابق لا يمكن أن يحدث شيء مما يكون في النفس أو في الأرض إلا وقد سبق أم خط في الكتاب بعد علم الله جل وعلا له حتى نكبة القدم وحتى خلاجان العرق وحتى طرف العين فكل شيء لابد أن يكون سبق بكتاب كما قال جل وعلا وما تسقط من ورقه إلا يعلمها سبحانه وتعالى قال جل وعلا هنا ما أصاب من مصيبة والمصيبة هي ما يكون غير موافقٍ لملاذ النفس خلاف النعمة فإنها تكون مما تنعم به النفس والبدن والمصيبة بعكس ذلك وما لا تنعم به أو مالا يلتذ به البدن أو ما يؤذي البدن والنفس أو هما جميعاً , هذه المصائب التي تقع ما أصاب من مصيبة هذه على أنواع منها المصائب الدنيوية وهي أهون ومنها المصائب الدينية وهي أعظم وسواء منها المصائب الدينية أو الدنيوية فإنها قد سبقت في كتاب كما هو اعتقاد أهل السنة

والجماعة , والقدرية منهم نفاة العلم السابق ونفاة الكتاب الذين يقولون إن الأمور تجري بشيء مستأنف جديد لم يسبق به قدر ولم يسبق به علم ولا كتاب وهؤلاء كانوا في الزمن الأول ثم نادى عليهم السلف والعلماء من كل جهة فخمدت بدعتهم وكفرهم , ومنهم القدرية الذين ينفون بعض ما يتصل بالقدر كنفيهم أن تكون المصائب الدينية مثل وقوع المحرمات ووقوع القتل في الأرض , وقتل من يقتل ووقوع الاعتداءات على العرض أو النفس أو المال أو مثل زنا الزاني وسرقة السارق , وارتشاء المرتشي وتخمر من يشرب الخمر وهكذا فهذه الأشياء عندهم أنها ليست بخلق الله جل وعلا وأنها كما هو معلوم أنها إنما هي من فعل العبد لا تنسب إلى الله جل وعلا ولم يلزم الله جل وعلا بحسب رأيهم العباد بذلك ولا جرى بها إذنه جل وعلا وهذان النوعان من المصائب الدينية أو الدنيوية كلها وقعت في الكتاب ولكن قال جل وعلا بعدها كما سيأتي لكي لا تأسو على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم ويأتي تفسيرها إن شاء الله .

قوله في الأرض فسرها هنا بأن المقصود في الأرض يعني في الآفاق وفسرت المصيبة في الأرض بأنها الجدب وهذا من تفسير العام ببعض أفراده فلا يحد بذلك وإنما يطلق ويجعل عاماً , ويكون المراد بالمصائب في الأرض كل ما يحدث في الأرض من مصيبة هي على الناس مصيبة في دنياهم بالجدب أو في نقص الأموال أو الأنفس أو الثمرات أو في دينهم بما يحصل من ذنوبٍ واعتداءٍ

وضعف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضعفٍ للسنة وارتفاع للبدعة ونحو ذلك مما يكون من المصائب الدينية قوله ولا في أنفسكم يعني ما يصيب العبد بأنواع المصائب التي ذكرنها قال إلا في كتاب والكتاب المقصود به هنا كما ذكرت لكم هو اللوح المحفوظ , وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو الذي سمعت رواه مسلم وغيره قال عليه الصلاة والسلام ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) وقدر بمعنى كتب قدر الله مقادير الخلائق يعني كتبها وهي شاهدٌ أو وهو دليل لما في هذه الآية من الكتاب السابق وقوله من قبل أن نبرأها فيها إثبات لمرتبة الخلق والبرأ , والبرأُ برأ الشيء هو إنفاذه بعد تقديره فإذا قدر الشيء الذي يكون على هيئة ما إذا قدر فإنه إذا عمل قيل برء أو صار أو برأه الله جل وعلا وأما الخلق من حيث هو الخلق فإنه يطلب ويراد به في كثير من المواضع أو في الأكثر المراد به التصوير الخلق يراد ما يكون فيه صورة , ما يكون فيه تشكيل وشبه ذلك أما البارئ فهو أعم فكل شيءٍ وجد فإنه قد برء , ولهذا في قول الله جل وعلا في سورة المؤمنون لما ذكر تدرج خلق الإنسان في بطن أمه قال في أخر الآية تبارك الله أحست الخالقين معنى أحسن الخالقين يعني أحسن المقدرين أو أحسن المصورين لأن الخلق يطلق ويراد به التقدير ويطلق ويراد به التصوير في غالب الاستعمال لهذا في قوله هنا من قبل أن نبرأها هذا يعم جميع ما خلقه الله جل وعلا مما

يكون على هيئة صورة أو على غير هيئة صورة , يعني مما يحدث من أقدار الله جل وعلا العامة من قبل أن نبرأها يعني أن تنفذ فهي موجودة في كتاب إن ذلك على الله يسير فهو سبحانه لكمال قدرته ولكمال علمه ولكمال إحاطته هو يسيرٌ عليه سبحانه وتعالى أن يكتب هذه قبل أن تقع وأن يعلمها لأنه الكامل في صفاته .

في قوله من قبل أن نبرأها ذكر لك ثلاث أقوال فيها , يعني عودة الضمير من قبل أن نبرأها هل هو برء النسمة ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها يعني نبرأ هذه النسمة أو نبرأ المصيبة يعني أن نجعلها نافذة أو أن نبرأ كما رجح ابن كثير ابرأ الخليقة يعني أن توجد الخليقة بعامتها والظاهر كما مر عليك في كلامي إن المقصود من قبل أن تبرأ المصيبة في نفسها لأن السياق يدل على ذلك ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها يعني واضح إن الكلام على المصيبة في نفسها من قبل أن نبرأها يعني من قبل أن تنفذ هذه المصيبة وأن يقضى على العبد هذه المصيبة .

الكلام واضح وحسن في هذا الموضع كثيراً والفرح في قوله ولا تفرحوا بما آتاكم المقصود به الفرح فرح البطر فرح بغير الحق , وأما الفرح بالحق هذا مأذونٌ به شرعاً أو مطلوب شرعاً والفرح بحق نوعان :

فرحٌ بالنعم الدينية كما جاء في قوله تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هذا أمر هو خيرٌ مما يجمعون فهو مطلوب شرعاً أن يكون الفرح بفضل الله وبرحمته الذي هو القرآن والدين وما أنزل الله جل وعلا فهو أعظم ما يفرح به في هذه الحياة وكذلك الفرح بأنواع النعم الدينية هذا كله فرح بحق وفرح مطلوب فرح برسالة محمد , فرح بانتصار أهل الإسلام , فرح بعلو الدين , فرح بظهور الحق ونحو ذلك مما هو لازم للفرح بالقرآن ولظهور القرآن وأهل القرآن .

أما القسم الثاني : فهو الفرح بالنعم الدنيوية التي تحصل للعباد , والنعم الدنيوية التي تحصل للعباد إذا فرح بها فرحاً طبيعياً بمعنى أنه سر بها , وهذا السرور لم يصرفه عن شكرها بل استعملها في مراض الله ولم يجعله بطراً ولا متكبراً ولا متجبراً بسبب النعم بل فرح الفرح الطبيعي الذي لم يحدث محرماً فإن هذا مأذون به , فهذان قسمان للفرح المطلوب أو المأذون به شرعاً أما القسم الثاني : من نوعي الفرح هو الفرح المذموم وهو فرح الكفر أو فرح الكبر , فرح البطر وقد ذكر الله جل وعلا عن أهل النار أنهم كانوا يفرحون في الأرض بغير الحق كما في سورة غافر قال جل وعلا ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون   وبما كنتم تمرحون فهذا يدل على أن فرحهم ومرحهم كان بطراً وكان كفراً

وكان كبراً ولم يكن عن تواضع لله جل وعلا ولهذا في هذه الآية قال جل وعلا لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم القدر السابق إذا تيقنه العبد هو أن الله جل وعلا هو الذي قدر وهو الذي قضى وهو لذي أنفذ ما قضى فإنه يجعل المرء لا يأسى , يحزن على ما فاته لأنه يعلم أن المتصرف في الأمر هو الذي قدر ولا يفرح كثيراً الفرح غير الشرعي بما أتاه الله جل وعلا فيكون متكبراً بطراً بنعم الله فهذا وهذا مذموم والحق بينهما فإنه لا يحزن ويفرح الفرح المطلوب أو المأذون به وهو فرح الشكر فرح بفضل الله ونعمة دينه .

قال جل وعلا والله لا يحب كل مختال فخور لأن الفرح بغير الحق ينتج عنه الاختيال والفخر والتعالي ونحو ذلك من الصفات المذمومة وقوله الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل هل هي مستأنفة أو هي تفسير للمختال والفخور الأحسن أن تكون تفسيراً لها والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون فلمختال والفخور هو الذي يبخل ويأمر الناس بالبخل , يعني في نواحي الخير وفي إعطاء أهل الاستحقاق بإعطاء ذوي الحاجات وإغاثة ذوي اللهفات ويبخل ويأمر الناس بالبخل لا تعطوا لا تنفقوا وأشباه ذلك من صفات المختالين الفخورين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم

علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً ووفقنا لما فيه رضاك ... أما بعد .

فهذه الآية مشتملة على ذكر ما به قوة الحق في نفسه وما به رد أعداء الحق بالبينات وبالقوة المادية والتعدد له وجهٌ في إظهار الحق قال جل وعلا لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط قوله هنا لقد أرسلنا تتكرر في القرآن كثيراً ، مجيء لقد و (قد) وقد بدون اللام إذا دخلت على الفعل المضارع فإنها للإحتمال قد يكون للتقعيد أو نحو ذلك وإذا دخلت على الفعل الماضي فإنها للتأكيد ، فإذا زاد عليها اللام وأتى معها الله فإنها هذه اللام تكون واقعة في جواب القسم المُقدر ، يعني أن تقدير الكلام (والله لقد أرسلنا رسلنا) فاللام واقعة في جواب القسم فهنا صار التحقيق والتأكيد بـ لقد مستفاداً من جهتين :

الجهة الأولى : ما في قد من التحقيق

والثانية : ما في اللام من إشعار بالقسم والتأكيد تأكيد الخبر

هذه الآية لما أقسم الله جل وعلا على ذلك وأكده وأثبت تحقيقه وتحققه فإن هذا الشأن عظيم من جهة إنزال الهدى والبينات والبراهين الدالة على صدق النبوة لكل رسول ولكل نبي , ومن جهة إنزال الكتب والشريعة التي هي ميزان للحق وللباطل ولو ترك الناس وأهوائهم ما أدركوا الحق من الباطل وربما أدركوا بعض الحق وبعض الباطل

وصارت فيهم الأهواء , ولهذا كانت أعظم منة وأعظم رحمة من الله جل وعلا على عباده أنه لم يتركهم دون كتبٍ وشرائع تبين لهم حق الله جل وعلا وتبين لهم ما يجب عليهم أن يتعاملوا به في حياتهم وأن يقوم الناس بالقسط لأن الناس لو لم يكن ذلك لظلم بعضهم بعضا ولأخذ بعضهم بعضاً بأهوائهم وشهواتهم , وبين جل وعلا أن التدافع أنه سنة من سنن الله جل وعلا , وجعل الحديد قوة يكون به قيام الحق والرد على الباطل لابد للحق إذا أتى والهدىمن معارض وكذلك جعلنا لكل نبي عدو من المجرمين وكفى بربك هادى ونصيرا هنا أثبت العداوة للرسل من المجرمين وبين أنه جل وعلا هو الكافي بالهداية وهو الكافي المصلح كفى بربك هاديا بما أرسل من رسولٍ وأنزل من كتاب وكفى به نصيراً لأنه ينصر عباده بتهيئة أسباب النصر ومن يبث الرعب في قلوب الأعداء وبعلو أهل الإيمان عليهم , وكفى به نصيراً أيضاً بما يعطي من الأسباب , فهذه سنة الله في خلقه فجعل جل وعلا الحديد منَّة منه على عباده لأن فيه رفعة هذا الحق وقيام الناس بالقسط وفيه منافع للناس كثيرة متنوعة , والآية كما سيأتي تشعر بأن الحديد ليس من الأرض بل الله جل وعلا أنزله من السماء على هذه الأرض ثم قال وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ذلك أن الابتلاء الحقيقي هو أن ينصر ومن لا ينصر لأن الحياة بمجملها هي ابتلاء ليبلوكم أيكم أحسن عملا إذا كان الله جل وعلا أعطى الناس نعماً فإنها للابتلاء ونبلوكم بالشر والخير فتنه وإلينا ترجعون , وقال سبحانه هنا في

إنزال الحديد وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب يعني إذا حق جهاد وأمر الله جل وعلا به أو قام المقتضي له فهنا يظهر الصادق ويظهر غير الصادق في قوله سبحانه وتعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات مر معكم في العقيدة ومر معكم أيضاً هنا معنى إرسال الرسول , وخلاصته أن إرسال الرسول هو الإيحاء إليه بأن يبلغ الرسل ما أُرسِل إلى قوم يخالفون ولا يوافقون يعني يعادونه في ذلك وهم على غير ما جاءت به الرسالة , وإرسال الرسل بالبينات يعني أن ما أُرسلوا به وهو الوحي هو في نفسه بين واضح , لأن البينة هي الدليل المنتج للمراد وهو بين واضح في نفسه والرسل يدعمها الله جل وعلا ويوئيدها بالبراهين والآيات وبما أعطاها يكون البيان التام بهذا الرسم , لذلك يسمى آيات الأنبياء وبراهين الأنبياء تسمى بينات لأنها بينة ظاهرة ودليل صادق على أن هذا الرسول ما جاء بشيء بنفسه بل بإذن الله سبحانه وتعالى , لهذا نرى أن من كذب الرسل أو لم يستسلم لهذه البراهين والدلائل والآيات أنه رد البينة , وإذا رد البينة فقد رد الحجة , لهذا سمية الحجة بينةً , وسمي الدليل حجة لأنه لابد أن يكون بيناً حتى يكون إذا كان غامضاً أو كان مشوشاً فإنه ليس بحجة لأنه ليس يبين ولهذا إذا قامت الحجة على العباد بقيام البينات فإن هذا ينقسم معه الناس إلى مكابر بعد ذلك يُشرع الجهاد كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى , فإذن البينات والآيات والبراهين أسماء تدل على أن ما أُرسل به هذا الرسول بين في نفسه واضح دليل لا لبس فيه

ولا غموض وأنه آية له لا شك فيها ولا غموض وأنه برهان له ساطع كبرهان شعاع الشمس في وضوحه فيكون حينئذ من رده رد البينة والبرهان والواضح من الدلائل هنا الباء في قوله لقد أرسلنا رسلنا بالبينات فيها وجهان .

الأول : أن يكون الموحى هو البينة والمرسل محمل الرسول رسالة المرسل محملاً بالرسالة أن يكون محملاً بهذه البينة , نقول البينة بمعنى الكتب والآيات والبراهين

والثاني : الوجه الثاني قال لقد أرسلنا رسلنا الباء هذه تكون للمصاحبة يعني أنهم أرسلوا مصحوبين أو معهم بالكلام بما أنزل عليهم بيان واضح لا لبس فيه , فيكون الكتاب الذي أنزل عليهم بين موصوف بأنه بين واضح تقول الآية ودلائل النبوة بينة , والقولان وجيهان إلا أن الثاني قد يرجح بقوله بعدها وأنزلنا معهم الكتاب ليكون الكلام غير معاد ويكون البينات هنا وصف لما أتوا به وفي القرآن يكون هذا تارة تطلق بالبينات بالباء فيكون المعنى ما أعطوه هو البينات يعني الكتاب هو البينة الآية هي البينة والقرآن هو البينة والمعجزة هي البينة وتارة تأتي ويكون المراد بها أنه هذه الأشياء التي يعرفوها التي هي الكتب والآيات والبراهين موصوفة بأنها , موصوفة بأنها دلائل واضحة على صدق وأنزلنا معهم الكتاب والميزان أنزلنا فيها دليل علو الله جل وعلا , وأن الكتاب ليس بقول محمد وإنما هو مُنزل من عند الله ثم قال جل وعلا نزل به الروح الأمين على

قلبك   نزل به الروح الأمين على قلبك وهذا يدل على أن روح الأمين الذي هو جبريل عليه السلام هو من حمله وليس من قال , والمنزل عليه محمد هو من نزل عليه وليس من قال فإذن دلت الآية على أن القرآن من عند الله منزل حمله ونزله جبريل عليه السلام وهو الرسول الملكي والمنزل عليه هو من قلبه محمد وهو الرسول البشري عليه الصلاة والسلام , وكذلك قوله في الآية بعدها وأنزلنا الحديد فيه دليل على علو الله جل وعلا على خلقه علو الذات سبحانه وتعالى لأن الإنزال لا يكون إلا من علو وأنزلنا معهم الكتاب ، معهم يعني مصحوبين ، مصحوبين بالكتب ومصحوبين بالميزان ، والكتب مشتملة على الميزان فالميزان هو الكتاب أو أن الرسول يعطى كتاباً ليس فيه شريعة ويعطى ما يحكم به بين الناس يعني من حيث ظاهر اللفظ فدلت الآية على أن الرسل أعطوا ميزاناً وكتاباً فهل الميزان هو الكتاب أو هو غير الكتاب الراجح أو يعني الأكثر والمعروف أنه ما اشتملت عليه كتب الرسل والأنبياء أنها مشتملة على العقيدة والشريعة ، والشريعة مختلفة والعقيدة واضحة ، والشريعة هي التي يحكم بها بين الناس ويفصل فيها بين الحق والباطل ويبين فيها ما للخلق من أنواع الحقوق حتى يمكن أن يكون كل واحد من الناس يعيش بدون تعدٍ على الآخر حينئذٍ تكون الواو العاطفة هذه ، عاطفة للخاص على العام يكون الميزان هو الكتاب لما اشتمل عليه من شريعة أو هو وصفٌ آخر له على حد قوله تلك آيات الكتاب وقرآن مبين فالكتاب هو القرآن لكن

من جهة وصف بأنه كتاب لأنه يكتب ومن جهة وصف بأنه قرآن لأنه يقرأ ، وهنا أفرد الميزان مع أن الكتاب مشتملٌ عليه أو أن الكتاب هو الميزان أفرده لأن الحجاج مع المشركين يكون بالدلائل ، الحق والبيانات هي الميزان الذي يبين به الحق من الباطل ، وأيضاً لأن الناس يحتاجون يوم القيامة إلى الفصل بينهم بهذا الميزان المقصود من ذلك أن العطف هذا فيه فائدة كبيرة في بيان أن الميزان وهو ما توزن به الأمور الحسية والمعنوية لقيام العدل وقيام الحقوق حقوق الله جل وعلا وحقوق العباد فيما بينهم أن هذا من أعظم ما أرسلت به الرسل فإذا ابطل هذا الميزان وابطل تحكيم الكتاب من جهة تحكيم هذا الشرع فكأنه ابطل المقصود من الرسالة ، الرسالة والرسل والبيانات جعلها الله جل وعلا لبيان ما يجب على العباد من حقه سبحانه ووضوح ما له جل جلاله من الحقوق على عباده ولما يحكم به بين الناس فهما قرينان .

إذن : توحيد الله جل وعلا بأداء حقوقه سبحانه وتعالى والميزان الذي به يحكم بين الناس وهو الشريعة وكل رسولٍ جاء من عند الله جل وعلا بشريعة تناسب أهل زمنه تختلف الشرائع لأن المقصود من الشرائع غير المقصود من العقائد غير المقصود من الديانات ، الشرائع بمعنى الأحكام والأوامر والنواهي هذه تختلف لأن المقصود منها إصلاح الناس حتى إن الحكماء والفلاسفة قالوا إنما القوانين يعني على حد كلامهم ، القوانين

والتشريعات هي للإصلاح فيرون أن الفيلسوف مرتفع عن هذا لأنه قد صلح ظاهره وباطنه وأدى الحقوق فمن صلح فإنه ليس بحاجة إلى ذلك والله جل وعلا جعل هذا لتتم كلمته في بيان الأخبار والعقيدة فتصدق وفي الأوامر والنواهي فتتبع ، قال جل وعلا لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة هي الشريعة التي يحكم بها والمنهاج هو الطريقة ، لهذا قال بعض السلف في تفسير شرعة ومنهاجا يعني سنة وطريقاً السنة التي تمضي ويحكم بها طريقاً التي تسلك والمنهاج الذي ينهج قوله ليقوم الناس بالقسط اللام هذه هي تعليل وما بعدها تعليل لما قبلها ، والقسط في إنزال الكتاب والميزان ، والقسط يكون في المسائل العلمية ويكون أيضاً في الخصومات والعمليات والمغالبة مع المشركين قبل أن يشرع الجهاد إنما هي ليقوم القسط الذي هو العدل والحق في المسائل العلمية لهذا كثر الحجاج وكثرت إيراد كلام المشركين في القرآن والرد عليهم في الله جل وعلا وفي توحيده وفي الآلهة وفي الرسول وفي صدقه وفي البعث بعد الموت ونحو ذلك من الحقوق أو من الغيبيات هذا هو ليقوم العدل في الحقيقة ليس هو العدل في الأمور الدنيوية بين الناس وإنما العدل الذي أقام الله جل وعلا عليه السماوات والأرض هو أن يعطى كل ذي حقٍ حقه فأعظم العدل في الأرض وأعظم الإصلاح في الأرض أن يعطى الله جل وعلا حقه فما في الناس خير إذا كانوا قد أعطوا بعضهم بعض من الحقوق ولكنهم ظلموا في حق الله جل وعلا فيكون حينئذٍ

لم يقوموا بالعدل ولا بالقسط لكن من سنة الله جل وعلا أنه إذا فرط العباد في حق الله فإن الله يمهلهم ، بل ربما عاشوا قروناً لكن إذا فرطوا في حق العباد وتظالموا فيما بينهم ، فإن من سنته أن الحياة لا تمضي لأن العباد يتشاحون في حقوقهم فلابد أن يقع الاعتداء قال سبحانه وتعالى وتبارك بعدها وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد الحديد فيما يذكر أهل الاختصاص بالمعادن أنه ليس من جنس المعادن الموجودة في الأرض بل هو من جنس ما هو موجودٌ في الكواكب والنجوم المختلفة فالحديد كأنه حسب ما يقولون غريبٌ على تركيبة الأرض فهو أُنزِلَ عليها وليس داخلٌ في تركيبها الأصلي وهذا الكلام يفهم معنى قوله وأنزلنا الحديد فالإنزال يقتضي أن يكون من علو ويقتضي حينئذٍ أن يكون من خارج هذه الأرض وطائفة من أهل العلم قالوا في وأنزلنا الحديد أنه أنزل من رؤوس الجبال يوجد في الجبال أنزل من الجبال إلى الناس في مدنهم هذا معنى الإنزال لكن هذا فيه نظر ، فإذن قوله وأنزلنا الحديد فيه فائدتان :

الفائدة الأولى : إثبات علو الله جل وعلا .

والثانية : أن الحديد ليس من الأرض بل الله جل وعلا أنزله على هذه الأرض لما ذكره من الحكم البالغة ، هذه السورة سميت سورة الحديد من أجل ذكر الحديد فيها وقال بعض أهل الفلك ، وقال بعض أهل الكيمياء والاختصاصات في المعادن والفلزات وأشباه ذلك قالوا إن المعدن وهذه من الغرائب ،

قالوا إن المعدن مشتمل على عددين ، على عددٍ يسمونه عددٍ ذري ، وعلى عددٍ إيش يعني كل معدن له خاصيتان تميزه عن غيره العدد الذري وغيش ؟ دوري ولا دولي لا ، ل ، والثاني .ز إيه هذه تركيبة الذرة في نفسها فيها نيترون وإلكترون لأ ، هو فيه عدد ذري وفيه شيء يُسمى عدد فلزي يسمونه عدد فلزي ما أعرف تفاصيله لكن يميزه عن غيره يعني هذه في تركيبته المقصود أن ثم هذين الشيئين من العجيب في الحديد ، أن أحد هذين العددين يمثل رقم السورة ، والعدد الثاني يمثل رقم الآية التي فيها ذكر الحديد ، فالسورة في عدد سور القرآن تمثل رقم السورة أحد هذين العددين ، ورقم الآية في السورة يمثل الرقم الآخر لكن بفرق عددٍ واحد بينهما هذا العدد الفرق بين هذا وهذا هو ناشئ عن يعني بحسب الإستقراء الذي ذكره بعض أهل الاختصاص عن عدم عدِّ البسملة باعتبارها آية مستقلة وعدم ، وجعل سورة الأنفال وبراءة سورة واحدة وليستا سورتين ، وهذا مذهب كما تعلمون لعدد من السلف في البسملة وفي الأنفال وبراءة سورة واحدة ، المقصود من ذلك أن الله جل وعلا له في خلقه الدلائل العجيبة ، والآيات الغريبة والكون كله مرتبط في مخلوقات الله جل وعلا فالعالم المتأمل يعني في اختصاصه أو طالب العلم الشرعي المتأمل في الشرع يجد أن الشريعة والكون شيءٌ واحد لا يختلف هذا عن هذا كما دلت عليه الآية ، فالله جل وعلا جمع في تنبيه النظر في إقامة الحجة جمع ما بين الشرعيات والكونيات وجعل الكلام في أوله لقد أرسلنا

رسلنا بالبينات وذكر إنزال الكتاب والميزان وقيام الناس بالقسط ثم ذكر بعض الأشياء الكونية لحكم وليمنَّ الله على عباده ولما ذكر من التعليلات ولكن هذا الارتباط ينبغي لطالب العلم للمتأمل أن ينظر إليه فمن انفك نظره ما بين الكونيات والشرعيات فقد حصل له نوعٌ من البعد عن الحق أو الضلال بحسب قدره فالحق الذي كان مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم نظروا في شرع الله جل وعلا كما أنهم تفكروا في خلق الله جل وعلا ، والجمع بين هذا وهذا هو الكمال وإذا لم يجمع بينهما يعني ما بين الاستسلام للشريعة والفقه فيها وما بين التفكر بمخلوقات الله جل وعلا يبقى الإستسلام للشريعة والعلم بالشريعة فمن أعطيَّ علماً بالشريعة وعلماً بالكونيات فإن هذا يعطيه إيماناً صادقاً ، لأنه لا يمكن لبشر أن يأتي بكتاب يتفق في الوحي والتشريع مع ما عليه الكونيات لهذا نظروا في أشياء كثيرة من هذا القبيل فنظروا مثلاً في الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة والذهاب من مكة إلى منى إلى عرفات إلى مزدلفة منى ثم الرجوع كل هذه حركة واحدة الحركة من حيث الشكل واحدة وهذه الحركة متفقه مع الحركات وتصرفات الأفلاك ، وهذا الارتباط ما بين الشرعيات والكونيات له بحث طويل ينتج لك أنه لا يمكن دليل آخر وبينة لا يمكن إلا أن تكون هذه الشريعة وأن تكون هذه الأكوان هي من عند الله جل وعلا وحده دون ما سواه فهو دليلٌ آخر من دلائل الإيمان والبحث عن حقيقة الإيمان والصلة ما بين الرسالات والربوبيات لإنك تعلم أن كثيرين

نظروا إلى الأكوان ليثبتوا الربوبية ثم وقفوا يعني تأملوا قالوا هذا في الأشياء الكونية تثبت أن الله هو الذي خلقها ويقفون بعد ذلك وهذا قصورٌ كبير لأن إثبات الربوبية ليس هو المقصود ولكن المقصود هو عبادة الله جل وعلا وحده دون ما سواه حينئذٍ يكون طالب العلم خاصة في هذا الزمن الذي يكثر فيه في الكلام عن الكونيات إلى ....ـ

تأملوا قالوا هذا يثبت أن الله هو الذي خلقها الأشياء المادية هذه تثبت أن الله هو الذي خلقها ويقفون بعد ذلك وهذا قصور كبير لأن إثبات الربوبية ليس هو المقصود ولكن المقصود هو عبادة الله جل وعلا وحده دون ما سواه فحينئذٍ يكون طالب العلم خاصة في هذا الزمن الذي يكثر فيه الكلام بالكونيات إذا جمع ما بين فهمه لطلب العلم وفهمه للأمور الكونية التي تذكر بيقين وليس نظريات التي تذكر بيقين وعليها براهن وأدلة , وتفكر وتدبر في الكون فإنه سيكون عنده من الإيمان والقوة ما هو محتاج إليه في مسيره إلى الله جل وعلا , لهذا ننظر إلى كتاب مفتاح دار السعادة مثلاً لابن القيم هو دائر في هذا الفلك , مفتاح دار السعادة دائرٌ في هذا المعنى في الجمع ما بين العلم الشرعي والسلوك والإرادة وما بين النظر في الكونيات , قوله جل وعلا فيه بأس شديد ومنافع للناس يريد به جل وعلا أنه من أعظم أسباب القتال والدفع والجهاد في سبيل الله جل وعلا , والجهاد أول ما فرض , فرضه الله جل وعلا جهاداً بالبيان والحجة , وهذا هو الأصل في الجهاد , الجهاد بالبيان

والحجة , والجهاد بالسنان استثناء ليس هو الأصل هو شرع ومأمور به وفرض لحماية ورعاية الجهاد بالحجة والبيان قال سبحانه فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرا يعني بالقرآن .

المقصود يعني لو ثبتت المقصود نصب أنفسهم ليتفق مع الآية ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليكم أما نصب أنفسهم لا لأن هذا مذموم . يؤتيكم كفلين من رحمته يعني لماذا أعطاهم كفلين من رحمته لكذا وكذا لكن النسخ النسختين ليس فيها هذه لكن لو ثبتت في معني النصب يعني التعب أو لأنها الرهبانية هي التي ابتدعوها .

الآية ظاهرُ كلام ابن كثير عليها ونقف فيها عند قوله

 ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثيرٌ منهم فاسقون قوله ورهبانية ابتدعوها هذه الآية أو هذه الجملة من هذه الآية فيها دليلٌ على أن الترهب الذي مارسه اتباع عيسى عليه السلام والانعزال في الصوامع وفي الغيران والجبال ونحو ذلك , أن هذا شيء مبتدع في دين عيسى عليه السلام وأنهم ابتدعوا ذلك لأجل أن يكون ذلك أقرب إلى الله جل وعلا بحسب زعمهم , والله سبحانه وتعالى قال ما كتبناها عليهم فجعل الذنب لهؤلاء الذين تعبدوا وترهبوا بما لم يأذن به الله جل وعلا من جهتين :

الجهة الأولى : أنهم ابتدعوا وكان حقاً عليهم أن يتبعوا رسولهم عيسى عليه السلام

والثانية : أنهم كتبوا على أنفسهم يعني ألزموا أنفسهم بشيء لم يلزمهم الله جل وعلا به , وتعلمون أن في الإسلام النذر مكروه لأنه إلزام للنفس بعبادة أو بشيءٍ ليس لازماً عليها , والعبد لا ينبغي له أن يلزم نفسه بطاعة ويعاهد الله جل وعلا عليها ثم لا يدري بعد ذلك أيفعل أم لا يفعل , أيقدر أم لا يقدر , أيستطيع تنشرح نفسه لذلك أم لا يستطع فيخالف , ولهذا شدد الله جل وعلا العقوبة على من وصفه بقوله ومنهم من عاهد الله لإن أتنا من فضله لنصدقن ولانكونن من الصالحين فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فإلزام الإنسان نفسه بشيء لا ينبغي له أن يدخل فيه حتى في الوعود حتى في إلا معلقاً بمعونة الله جل وعلا أو بمشيئة الله سبحانه وتعالى فهؤلاء ما كتبت عليهم تلك الرهبانية بل ابتدعوها وكتبوها على أنفسهم , يعني ألزموا أنفسهم بذلك طاعة لله بحسب شريعتهم قد يكون بنذر , وقد يكون بشيء أخر لكنهم ابتدعوا وكتبوا على أنفسهم , يعني ابتدعوا الطريقة , وكتبوا على أنفسهم ذلك وألزموها به فصار الذنب لهم من هاتين الجهتين قوله جل وعلا في الاستثناء إلا ابتغاء رضوان الله هذه ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله , يعني أن أصل كلام ابن كثير فيها واضح لكن تضيف على

الوجهين اللذين ذكرهما أن اللهِ جل وعلا كتب عليهم أصلا رهبانية , يعني نوعاً من الرهبانية لكنهم ابتدعوا نوعاً أخر من الرهبانية , وهذا يصدقه الحديث لكل أمةٍ رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله والله جل وعلا كتب عليهم رهبانيةً من أجل ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها , يعني ما رعوا ما فرضه الله لهم من الرهبانية , ولكنهم ابتدعوا رهبانية أخرى لتقربهم إلى الله جل وعلا هذا وجه .

والوجه الثاني : يعني التوجيه اللي ذكر توجيه الوجه الثاني الذي ذكره أنه ما كتبت عليهم لكن كتب عليهم أو أمروا بإبتغاء رضوان الله جل وعلا ولم يكتب عليهم بعد , وهذا التوجيه فيه يحتاج إلى مزيد تأمل لظهور صحته لكن الأول الذي ذكرت لك هو ظاهر الآية وظاهر الأحاديث لأن لكل أمة رهبانية وهؤلاء كتبت عليهم رهبانية فابتدعوا شيئاً آخر , وألزموا أنفسهم به وتركوا رضوان الله في الرهبانية الأولى التي كتبت عليهم , وهذا هو الذي حصل في الحقيقة مع من ترهب من هذه الأمة لأنهم إنما ترهبوا وتصوفوا واعتزلوا تشبهاً بأهل الكتاب فما أشبههم بذلك بل هذه الآية منطبقة عليهم في الحقيقة , لأن الله جل وعلا كتب عليهم رهبانية وهي الجهاد في سبيل الله بأنواعه وذلك لما يحصل به من إرهاب العدو , وإرهاب الشيطان , وإرهاب حزب الشيطان وهم عدلوا إلى رهبانية مبتدعة لم تكتب عليهم , وتركوا رضوان الله جل وعلا فما أشبه ما حصل في هذه الأمة بما حصل

للأمم قبلنا التي ذكر الله جل وعلا خبرها هنا قال فما رعوها حق رعايتها يعني ما فرضنا عليهم وكتبنا عليهم من الرهبانية و وإنما ذهبوا إلى شيء آخر , فهذه الآية دالة على ذم البدع والمحدثات وعلى النهي على أن يلزم الإنسان نفسه بغير طاعة الله جل وعلا المأذون له بها ولا يلزم نفسه بشيء لم يكتب عليه حتى من المستحبات لا يلزم نفسه كما ألزم ذاك نفسه بالصدقة لأن أتنا الله من فضله لأصدقن حتى أقسم لأصدقن ولأكونن من الصالحين ثم أخلف ذلك فالعبد يرفق بنفسه ولا يحمل نفسه ما لا طاقة لها به , والعهد مع الله جل وعلا شديد , العهد والمعاهدة والإلزام وما شابه ذلك هذا شديد , فلا ينبغي للعبد أن يعرض نفسه لإخلاف العهد وخاصةً مع ربه جل وعلا , ولهذا صار نقض البيعة شديد من هذه الجهة , ولهذا صار الأخذ بالأعلى والأشد من العبادات شديد لأنه من هذه الجهة وهذا له أمثله كثيرة حتى في حياة الناس خفق الله جل وعلا عنا وعنكم الحساب وصرف عنا العقاب إنه جواد كريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد ....

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح والقلب الخاشع وأن يرينا الحق حقاً وأن يمن علينا باتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويمن علينا باجتنابه , كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الخير الذين يعينون عليه ويتواصون به ويتعاونون على البر والتقوى إنه سبحانه أكرم مسئول

في هاتين الآيتين البشارة العظيمة لهذه الأمة بفضل الله جل وعلا المضاعف لها وبأنهم أعطوا كفلان من الرحمة ونصيبان من الأجر وحظان من الثواب , وأنهم ميزوا على أهل الكتاب بهذا الفضل , وأن أهل الكتاب إذا آمنوا واتقوا فإن لهم يعني بالنبي واتقوا الله وتركوا ما هم عليه فإنهم يؤتون أجرهم مرتين ويكون لهم كفلان من الرحمة والأجر قال جل وعلا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفورٌ رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم في أول الآية قال سبحانه يا أيها الذين آمنوا أخاطبهم بهذا الإيمان الذي يشملهم جميعاً ممن حقق ما أمر به في الإيمان , ومعلوم أن الإيمان يشمل الاعتقاد ويشمل القول ويشمل العمل فهو نداء من الله جل وعلا للذين اعتقدوا بما

جاء به محمدٌ وللذين نطقوا بذلك وعملوا به فأمرهم بتقوى الله جل وعلا والإيمان برسوله وهذا خطاب يشمل أيضاً من آمن من أهل الكتاب فهم يؤتون أيضاً أجرهم مرتين ولهم كفلين من رحمة الله جل وعلا لأنهم أمنوا واتقوا وأطاعوا الرسول وحقيقة الإيمان في لغة العرب طلب الأمن آمن من الآمن آمن وأمن واستأمن كلها من باب واحد , والأيمان الذي هو طلب الأمن قد يكون طلب الآمن عند الأخبار بالخبر أو طلب الأمن عند الأمر والنهي فمن الله جل وعلا الأخبار واجبة التصديق لأنها من عند الله جل وعلا فالإيمان بها طلب الأمن من غائلة التكذيب في الدنيا والآخرة ومن أثر التكذيب في الدنيا ومن أثر التكذيب في الآخرة , هذا يشمل الغيبيات ذات الله جل وعلا وأسمائه وصفاته وأفعاله وما أخبر عن نفسه العظيمة ويشمل أيضاً ما أخبر به عن الجنة والنار والميزان والصراط وما يحدث في يوم القيامة , وما أخبر به عما في السماء وما أخبر به عما حصل في الأرض كل شيءٍ غيبي فالأمن يتحقق بالتصديق به كذلك الإيمان بالأوامر والنواهي أمن بالإيمان بالأوامر والنواهي هو الأمن من غائلة ردها بأنها غير مأمور بها أو غير منهي عنها فإذا أمر اله جل وعلا بأمرٍ فالإيمان أن تصدق وتعتقد أن هذا مأمورٌ به وكذلك النهي أن تعتقد وتصدق أن هذا منهي عنه , وكذلك أن تأمن غائلة المخالفة , أن تأمن أثر المخالفة مخالفة الأمر أو مخالفة النهي , ولهذا صار الإيمان قول وعمل واعتقاد , وقول طائفة من أهل العلم , من أهل اللغة ومن أهل الشريعة , إن

الإيمان في اللغة هو التصديق , هذا صحيح أيضاً لكنه نتيجة لأنه يصدق لطلب الأمن في الدنيا يعني في اللغة لطلب الأمن في الدنيا لأنه إذا أخبر بخبر فرده وكذبه , يعني لم يؤمن به لم يصدقه فإنه لا يأمن أن يبادره المخبر بأذى لأنه كذب ومن عرف الناس والرجال والعقلاء ألا يكذبوا , يعني في الجاهلية , وألا يكذب بعضهم بعضا , فإذا كذبه فقد أوقعه في نقيصة فلا يأمن بعدها غائلة هذا التكذيب , وكذلك في الأمر والنهي قالوا الإيمان أيضاً هو التصديق يعني في من جعل المرد بالإيمان للتصديق وهذا أيضاً صحيح , لكنه أيضاً تصديق بالأوامر بالنواهي لطلب الأمن فيها والتصديق في ذاته إذا كان في الأخبار فإن التصديق بها باعتقادها , وإذا كان في الأوامر والنواهي فإن التصديق بها باعتقادها والعمل بها لأن حقيقة التصديق في اللغة راجعة أيضاً إلى هذين القسمين بالخبر باعتقاده وعدم رده , وفي الأمر والنهي بالتصديق به باعتقاده وعدم رده وبالعمل به إن كان هو المخاطب بذاك , ويدل لهذا قول الله جل وعلا في سورة الصافات لما ذكر قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع ابنه قال يا بني إني أرى في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتي أفعل ما تأمر ستجدوني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلم جميعاً فلما أسلم وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فجعله مصدقاً لرؤية لما أسلم تصديقاً , ولما تله أيضاً عملاً تصديقاً , وهذا في الحقيقة راجع كما ذكرت لك بأن الأوامر والنواهي والأخبار هي كلها من عند الله جل وعلا

فلابد فيها من تحقيق أمر الله والتصديق بالخبر والأمل بالأمر والنهي وعدم رده ولأنه من عند الله جل وعلا الذي تجب طاعته مطلقا , إذا تبين ذلك فإن من لم يؤمن لم يحقق لنفسه الأمن لا في الدنيا ولا في الآخرة فهو على خوف وعلى خطأ وعلى افتراق خوفاً في النفس وخوفاً أيضاً في المجتمع وفي من حوله , فالإيمان والأمن اشتقاقاً وأثراً شيءٌ واحد ولهذا قال جل وعلا الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون لأنهم أمنوا لطلبه , لطلب الأمن فجعل الله جل وعلا لهم الأمن والهداية في الدنيا والآخرة , إذا تبين لك ذلك فالله جل وعلا أمر الناس , أمر أهل الإيمان بتقواه بطاعة رسوله والتقوى في القرآن والسنة على ثلاث مراتب : ذكرناها لكم في موضعٍ أخر وهي .

تقوى الله جل وعلا بالإسلام والتوحيد والكفر بالطاغوت والشرك , وهذه يخاطب بها الناس جميعاً يا أيها الناس اتقوا ربكم يعني اتقوه بالإسلام والتوحيد بترك الشرك وما يؤدي إليه .

والثاني : تقوى الله جل وعلا بامتثال الواجبات وترك المحرمات .

والثالث : تقوى الله جل وعلا , بامتثال المستحبات وترك المكروهات , وترك ما يؤدي إلى المشتبهات والمحرمات .

هذا الأخير يدخل فيه الوراء ويدخل فيه درجات الزهد , ويدخل فيه أشياء كثيرة , المقصود هنا أنه هنا قال يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتيكم كفلين من رحمته فأمر بتقواه

العامة , وهي تشمل هذه المراتب جميعاً لكن كلٍ على حسب حاله , وأمنوا برسوله , هذا الإيمان المراد به التصديق الجازم الذي لا شبهة فيه الذي يقارنه القول والعمل بأن محمداً هو رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين وأن ما جاء به حق وأن رسالته نسخت ما قبلها من الرسالات والإيمان بالرسول المقصود بها الإيمان الشرعي لأن الإيمان إذا تعدى بالباء فيقصد به الإيمان الشرعي , وإذا تعدى باللام يعني في القرآن ليس في اللغة في القرآن إذا تعدى باللام فإن المعنى هو التصديق كما قال طائفة من أهل العلم كقوله فأمن له لوط وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين يؤمن بالله ويؤمن بالمؤمنين وفي آيات كثيرة في ذلك , وأما إذا جاء الإيمان معداً بالباء فإن المقصود به الإيمان الشرعي والإيمان بالرسول الإيمان الشرعي هو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر و وألا يعبد الله إلا بما شرعه هذا الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه قال سبحانه يؤتكم كفلين من رحمته يؤتكم هذه في جواب الأمر اتقوا يؤتكم , يعني هي في مقام إن تتقوا يؤتكم فتكون مجزومة جواب للأمر وقوله يؤتيكم كفلين الكفلان جمع كفل , والكفل هو الحظ والنصيب , حظٌ ونصيب لكن يطلق للحظ والنصيب الكبير , يعني يؤتيكم حظين ونصيبين من رحمته , وهذان الكفلان هل هما مضاعف الأجر كقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين أو هما كفلان من الرحمة بمعنى أنهما نصيبان من الرحمة في الدنيا وفي الآخرة ليس خاصاً بالأجر قولان لأهل

العلم , والظاهر عدم تحديدها بالأجر لأن الرحمة تشمل الأجر وتشمل غيره فيكون في قوله تعالى أولئك يؤتون آجرهم مرتين بما صبروا وفي الحديث الذي ذكره ابن كثير هنا ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين)) هذا بخصوص الأجر لكن الرحمة أوسع , وإعطاء الله جل وعلا عبده الأجر على ما عمل , هذا من الرحمة لكن رحمته أوسع من ذلك هذا يدل على أن تفسير من فسر الكفلين هنا بالأجرين أنه فيه قصور , وأن الأولى حمل الرحمة على عمومها , وأن الكفلين عظيمان لا يعلمهما إلا الله جل وعلا من الرحمة بما في ذلك إعطاء الأجر مضاعفاً , والأحاديث التي ساقها ابن كثير رحمه الله هنا تدل على ذلك , قال سبحانه ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم   ويجعل لكم نوراً تمشون به النور هنا فسرها بعض أهل العلم بأنه هو النور المذكور في سورة الحديد وفي سورة التحريم إنه النور يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم هذا نورٌ يوم القيامة يؤتاه أهل الإيمان ليكون لهم علامة واطمئنان وليجتازوا الصراط وينجوا من الظلمة على بصيرة ونور لكن هذا أيضاً فيه قصور لأنه قال جل وعلا هنا ويجعل لكم نوراً تمشون به وهنا نور جاءت نكرة في سياق المنة , وسياق جواب الأمر فتكون مطلقتاً وتقيدها تحتاج إلى دليل , كما هي القاعدة عند الأصوليين أن النكرة في سياق الإثبات أنها إيش , أنها مطلقة تفيد الإطلاق , نكرة في سياق الإثبات , وأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم , قد يكون عموم ظهور , وقد

يكون عموم استغراب أو تنصيص بحسبه يعني في العموم , أما الإطلاق فالإطلاق عمومٌ بدلي وليس عموم شمول لأن المطلق عام , لكنه عامٌ على وجه البدن لا على وجه الشمول فهو عامٌ يصدق عليه هذا أو هذا أو هذا وقد يكون عاماً يدخل فيه عشر أو عشرين حالة فالمطلق إذا قيد صار المراد به حالة واحدة فعمومه على وجه البدن , فإذا لم يقيد فإنه يبقى على إطلاقه لا على وجه الشمول ولكن على وجه البدل وهنا نقول في قوله ويجعل لكم نوراً تمشون به النور يعطيه الله جل وعلا العبد في الآخرة بنص الآيات المذكورة في سورة التحريم وفي غيره , وأيضاً يعطيه الله جل وعلا العبد في الدنيا كما دلت عليه آية الأنعام أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وحينئذ فيكون هذا النور , نور في الدنيا أو نور في الآخرة و لأن هذا وجه الإطلاق إطلاقاً يكون على وجه البدن حتى يقيد لكنه هنا يشمل النورين جميعا لمناسبة قوله يؤتكم كفلين من رحمته والكفلان هنا النور في الدنيا والنور في الآخرة , فناسب الفضل بأنه جعل لهم كفلين من رحمته أنه يكون هنا النور بما يشمل نور الدنيا ونور الآخرة خلافاً لمن جعل ذلك في أحد هذين الحالين , والنور يكون في البصر ويكون في البصيرة , يكون في البصر ويكون في البصيرة و ففي البصر بالرؤية , وفي البصيرة بعلم الأشياء على الصواب وإذا كان كذلك فالنور في الدنيا هو نور البصيرة لا البصر و والنور في الآخرة هو نور البصر والبصيرة وهذا من جراء

أنهم أمنوا بهذا النور وتركوا الكفر والشرك وأمنوا بالرسول واتقوا الله فأعطاهم الله جل وعلا البصيرة في الدنيا والنور والبصر والبصيرة في الآخرة , هذا يبين لك معنى قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا أن المقصود بها هنا عمى البصيرة لا عمى البصر فمن كان أعمى البصيرة في هذه الدنيا فإنه يوم القيامة أعمى البصر والبصيرة , ومن كان في هذه الدنيا نير البصيرة بالإيمان والتقوى فإنه في الآخرة نير البصر والبصيرة فضلاً من الله جل وعلا ونعمة , قال سبحانه ويغفر لكم والله غفور رحيم قوله ويغفر لكم المغفرة هنا ترتبت على الإيمان بالرسول بتقوى الله جل وعلا , والمغفرة هي الستر ستر الذنوب و والاستغفار طلبُ ستر الذنب , ومغفرة الله جل وعلا لعباده أنه يستر ذنوبهم , وستر الذنب له جهتان :

الجهة الأولى : ألا يفضح الله جل وعلا العبد بين الناس في الدنيا أو في الآخرة .

والجهة الثانية : ألا يفيض الله جل وعلا أثر المعصية على عبده لأن المعصية إذا وقعت في الأرض فلها أثر لها أثر على العبد , ولها أثر أيضاً على الأرض التي هو فيها , فإذا طلب العباد المغفرة , يعني طلبوا ستر هذه الذنوب بعدم الفضيحة فيها وبعدم العقوبة عليها , وهذا بخلاف التوبة فإن التوبة ندم على ما فات وإقلاع عن الذنب والعزم على ألا يعود في المستقبل وليس فيها , ليس في التوبة معنى هذا المعنى الخاص بالاستغفار , ولهذا هنا قال ويغفر لكم ذكر المغفرة دون التوبة لأنها أعم أثراً

على العبد فيما فيه مصلحته في دنياه وفي أخرته جعلنا الله وإياكم ممن غفر له وستر ذنبه وعيبه في دنيانا وأخرتنا . ثم قال سبحانه والله غفور رحيم وهذا تعريض باسم من أسماء الله جل وعلا لكي يتعرف العبد بمغفرة الله ورحمته وهما مذكوران في الآية حيث قال يؤتيكم كفلين من رحمته وقال بعدها ويغفر لكم فلهذا ذكر المغفرة والرحمة فناسب أن يختم بقوله والله غفور رحيم وقوله والله غفور رحيم هنا من حيث الإعراب غفور خبر للفظ الجلالة , ورحيم خبرٌ ثانٍ , فهنا خبرٌ أول وخبرٌ ثاني , وليست رحيم نعتاً لغفور إلا إذا اعتبرنا أن غفور دالة على الذات فهذه لا تصلح في كل موضع لأنه قد يكون السياق يدل على أن المراد الصفة التي يشتمل عليها الاسم فيكون الأنسب في الإعراب حينئذ أن تقول خبر أول وخبر ثاني , يعني والله غفور والله رحيم قال جل وعلا بعدها لئلا يعلم في قوله لئلا يعلم سمعت ما قال ابن كثير رحمه الله في نقله عن ابن جرير وفي كلامه في قوله ليتحقق أهل الكتاب , فعبر بالتحقق وهو تعبيرٌ صحيح في أن معنى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب يعني لأن يعلم أهل الكتاب , وهذا كما جاء في قراءة ابن مسعود لكي يعلم أهل الكتاب وكما جاء أيضاً في قراءة أهل السلف أظن أن قراءة عكرمة لأن يعلم أهل الكتاب يعني بدون اللام بدون لام , وتكون أن ألا يقدرون أن هنا مخففه من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف تقديره الكلام لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله معنى الآية

لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله لأن فضل الله جل وعلا ليس بأماني أهل الكتاب وليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب , هذا فضل من الله جل وعلا , وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء , فقوله إذن هنا لئلا يعلم صار المعنى لأي يعلم , يعني لكي يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون يعني انهم لا يقدرون , ولا هنا في قوله لئلا هذه يسميها كثير من أهل التفسير صلة تأدباً مع القرآن الكريم ويسميها أهل النحو والبلاغة زائدة , وليس معنى الزيادة أنها زائدة نقلاً أو زائدةٌ معناً حاشا وكلا بل هي يستعملون هذا اللفظ لها زائدة لأن تجد من يقول أنها زائدة , لكن هذا التعبير الذي عبر به ابن جرير فيما سمعتم هو التعبير الأليق والأدب مع كتاب الله جل وعلا يقول هي صلة ومعنى أنها صلة معناها أنها زائدة , معنى كونها صلة أنها زائدة لكن هنا الزيادة لتحقيق المعنى , ولهذا ابن كثير على طريقته في أنه لا يورد كل ما يتعلق بالتفصيلات اللغوية عبر لك بقوله ((ليتحقق)) من أين أتي بلفظ يتحقق , ليس مجرد تعبير لعدم فهم اللغة لأن كلمة لا هذه لما زيدت أو كانت صلة فصارت صلتها أو زيادتها لأجل تحقيق الكلام ولأجل تأكيده , وفي القرآن كثير من ذلك منها فهي تأتي في النفي كما ذكر ابن كثير عن ابن جرير , وتأتي أيضاً في الإثبات لقوله مثلاً لا أقسم بيوم القيامة   لا أقسم بهذا البلد وفي قوله أيضاً يأتي زيادة في غير لا مثل زيادة ما ((فبما)) رحمة من الله لينت لهم , يعني فبرحمة من الله   فبما نقضهم ميثاقهم يعني

فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية فالمقصود أن هاتين الكلمتين (ما , لا) دلاتان على النفي والعربُ تزيدهما في الكلام إذا أراد المتكلم أن يثبت هذا الكلام , وأن يؤكده وأن يزيده تحقيقاً قال لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ألا يقدرون يعني أنهم لا يقدرون كما ذكرت لك على شيء من فضل الله يعني على أي شيء لأنه ليس هم الذين يتحكمون في الفضل ويوزعونه كيف شاؤا , الفضل بيد الله بجميع أنواعه بفضل الدنيا وفضل الآخرة فهو يؤتيه من يشاء قال سبحانه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم هو سبحانه صاحب الفضل الأعظم وصاحب المنة الكبرى له على عباده واجب الشكر والثناء والإنابة لما له عليهم سبحانه من أفضال ونعم لا تحصى ولا تعد وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار هذا أخر هذه السورة سورة الحديد وهي سورة عظيمة اشتملت على تمجيد الله جل وعلا في أولها وعلى فضل الله جل وعلا في أخرها وله سبحانه الحمد والشكر والثناء .

إذا كان الشيخ فيه بصيرة للإنسان في دينه أو صار فيه على هدي النبي فهو نور نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء .

النور للبصر أو للبصيرة إلا إذا كان لقصد ما أضيف إليه فلان نور لأنه طالب علم لأنه عالم ينشر النور والهدى ونحو ذلك فهذا من هذا الباب يكون تجوز لا بأس .

تمت بحمد الله

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات